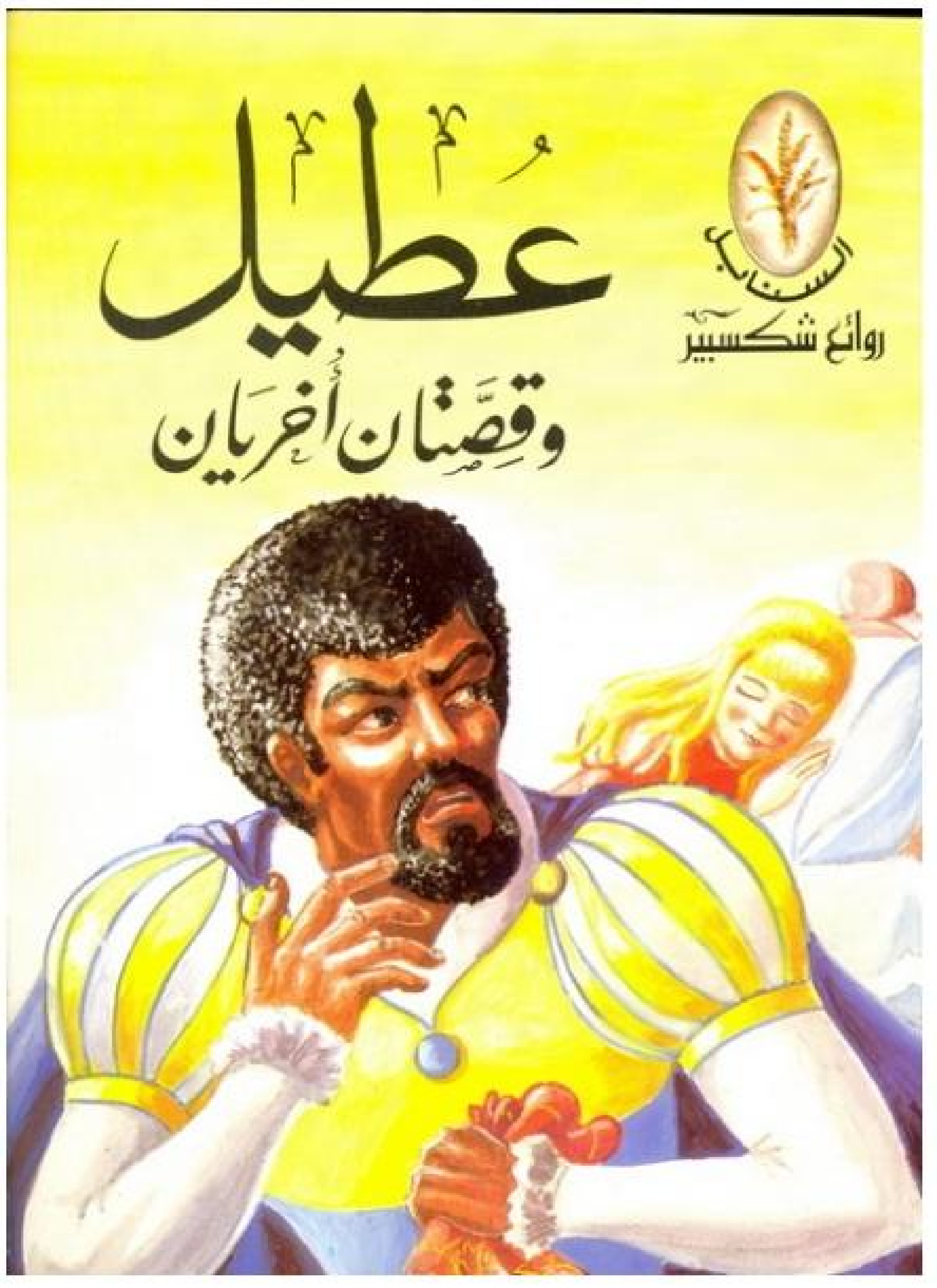


السنابل
روائع شكسبير
عُطيل
وقِصَّتان أُخريان



# عُطيل

## وقِصَّتان أُخريان



روائع شكسبير

# عطيل
## وقصتان أخريان



تأليف : وليم شكسبير

أعدها بالعربية : الدكتور سليمان العطار

رسوم : محمد نبيل عبد العزيز



الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي



١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر



الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٧١ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٧١ - . ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

# عُطيل

كانَ لبرابانْشيو ، عُضوِ مَجْلسِ شُيوخِ مَدينَةِ البُنْدُقيَّةِ الثَّرِيِّ ، ابْنَةٌ جَميلَةٌ هيَ دِزْديمُونا اللَّطيفةُ ، الَّتي كانَ العَديدُ من الرِّجالِ يتَمنَّوْنَ الزَّواجَ بِها ؛ لِما تَتحَلّى بِهِ مِنْ خِصالٍ حَميدَةٍ ، فَضْلاً عَمّا كانَ يَنْتَظِرُها مِنْ ثَرْوَةٍ طائِلَةٍ . غَيْرَ أنَّها لَمْ تَرَ مِنْ بَيْنِ مَنْ أحَبُّوها من بَني بَلْدَتِها ماسا لأوْتارِ قَلْبِها ، وَاخْتارَتْ رَجُلاً مَغْرِبيًّا أسْوَدَ البَشَرَة كانَ أبوها يُحِبُّهُ وَيَدْعُوهُ دائِماً إلى بَيْتِهِ ، وَكانَ اسْمُهُ عُطيل .

لا لَوْمَ عَلى دِزْديمُونا لاخْتيارِها شَخْصاً لا يُناسِبُها كَحَبيبٍ ؛ فَرَغْمَ أنَّ عُطيلَ النَّبيلَ كانَ أسْوَدَ اللَّوْنِ إلا أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْقُصُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّفاتِ الَّتي تَنْجَذِبُ إلَيْها فُضْلَياتُ النِّساءِ ؛ إذْ كانَ جُنْديا شُجاعًا . وَقَدْ رَفَعَتْهُ أعْمالُهُ في الحَرْبِ الدّامِيَةِ ضِدَّ الأتْراكِ إلى رُتْبَةِ



قائِدٍ في جَيْشِ البُنْدُقيَّةِ ، فَكانَ يَحْظى بِاحْتِرامِ الدَّوْلَةِ وَثِقَتِها .

كانَ عُطيل كَثيرَ التَّرْحالِ ، وَكانَتْ دِزْديمُونا تُحِبُّ أنْ تَسْتَمِعَ إلَيْهِ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْها مُغامَراتِهِ . وَكانَ يَصِفُ لَها المَعارِكَ الَّتي خاضَها ، وَالمَخاطِرَ الَّتي تَعَرَّضَ لَها في البَرِّ والبَحْرِ ، وَكَيْفَ وَقَعَ أسيراً في أيْدي العَدُوِّ وَبيعَ في سوقِ العَبيدِ ، وَكَيْفَ هَرَبَ بِصُعوبَةٍ . وَكانَ يَحْكي لَها عَنِ الغَرائِبِ الَّتي رَآها في البُلْدانِ الأجْنَبِيَّةِ ، وَعَنِ الصَّحاري الواسِعَةِ وَالكُهوفِ وَالصُّخورِ وَالجِبالِ الَّتي كانَتْ قِمَمُها تُلامِسُ السُّحُبَ ، وَعَنِ القَبائِلِ المُتَوَحِّشَةِ مِنْ آكِلي لُحومِ البَشَرِ ، وعَنْ جِنْسٍ مِنَ البَشَرِ في إفْريقيَّة تَظْهَرُ رُؤُوسُهُمْ دونَ مُسْتَوى أكْتافِهِمْ .

كانَ حَديثُ السَّفَرِ وَالتَّرْحالِ يَجْذِبُ انْتِباهَ دِزْديمُونا أيَّما انْجِذابٍ، لِدَرَجَةِ أنَّها لَوْ دُعِيَتْ في أيِّ وَقْتٍ لأداءِ أعْمالِ المَنْزِلِ ، لأنْهَتْها بِسُرْعَةٍ وَعادَتْ تَوّاقَةً لِسَماعِ المَزيدِ . وَذاتَ مَرَّةٍ رَجَتْهُ أنْ يَحْكِيَ لَها قِصَّةَ حَياتِهِ كُلَّها ، تِلْكَ القِصَّةَ الَّتي سَمِعَتْها كَثيراً وَلَكِنْ على حَلَقاتٍ . وَاسْتَجابَ لَها ، وَأبْكاها كَثيراً عِنْدَما ذَكَرَ لَها ما كانَ يُعانيهِ في شَبابِهِ .

وَعِنْدَما انْتَهَتِ القِصَّةُ أقْسَمَتْ بِصَوْتٍ ناعِمٍ أنَّها لَمْ تَسْمَعْ أغْرَبَ

وَلا أعْجَبَ وَلا أشَدَّ إثارَةً لِلشَّفَقَةِ مِنْها ، وَتَمَنَّتْ لوْ لَمْ تَسْمَعْها ، كَما تَمَنَّتْ لَوْ أنَّ اللَّهَ خَلَقَها في صورَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ . ثُمَّ شَكَرَتْهُ قائِلَةً لَهُ لَوْ أنَّ لَهُ صَديقاً مُعْجَباً بِها فَما عَلَيْهِ إلا أنْ يُعَلِّمَهُ كَيْفَ يَحْكي قِصَّتَهُ وَبِذَلِكَ يَفوزُ بِقَلْبِها . وَعِنْدَما قالَتْ هَذا بِصَراحَةٍ وَتَواضُعٍ فَهِمَ عُطيل ما رَمَتْ إلَيْهِ ، وَتَحَدَّثَ بِصَراحَةٍ أكْثَرَ عَنْ حُبِّهِ لَها ، وَحَصَلَ عَلى مُوافَقَةِ دِزْديمونا الفَتاةِ الكَريمَةِ بِقَبولِ زَواجِهِ سِرًّا .

لَمْ يَكُنْ لَوْنُ بَشَرَةِ عُطيل ، وَلا ثَرْوَتُهُ يُؤَهِّلانِهِ لأنْ يَقْبَلَهُ برابانْشيو صِهْرًا ؛ إذْ عِنْدَما تَرَكَ ابْنَتَهُ حُرَّةً كانَ يَتَوَقَّعُ أنْ تَخْتارَ زَوْجاً مِنْ طَبَقَةٍ نَبيلَةٍ ، كَعُضْوِ مَجْلِسِ شُيوخٍ مَثَلاً ، كَما فَعَلَتْ بَناتُ أشْرافِ البُنْدُقِيَّةِ . غَيْرَ أنَّهُ خُدِعَ هَذِهِ المَرَّةَ ؛ فَقَدْ أحَبَّتْ دِزْديمونا عُطيل رَغْمَ سَوادِ بَشَرَتِهِ ، وَسَلَّمَتْ قَلْبَها لِقُدُراتِهِ الشُّجاعَةِ ، وَاتَّخَذَتْ مِنْ لَوْنِهِ – وَهُوَ سَبَبٌ كافٍ عِنْدَ كُلِّ الفَتَياتِ الأُخْرَياتِ لِرَفْضِهِ – سَبيلاً لأنْ تَرْفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ أصْحابِ البَشَرَةِ البَيْضاءِ ، وَالطَّلْعَةِ الوَضّاءَةِ مِنْ شَبابِ البُنْدُقِيَّةِ الأشْرافِ ، الَّذينَ كانوا يَتَمَنَّوْنَ الزَّواجَ بِها.

تَمَّ الزَّواجُ في سِرِّيَّةٍ ، غَيْرَ أنَّ السِّرِّيَّةَ لَمْ تَدُمْ طَويلاً . وَعِنْدَما وَصَلَ الخَبَرُ إلى أسْماعِ برابانْشيو العَجوزِ وَقَفَ في هَيْئَةٍ وَقورٍ في





مَجْلِسِ الشُّيوخِ ، وَاتَّهَمَ عُطيل بِأنَّهُ كَسَبَ وُدَّ دِزْديمونا عَنْ طَريقِ السِّحْرِ ، وَجَعَلَها تَتَزَوَّجُهُ بِدونِ مُوافَقَةِ أبيها .

حَدَثَ في ذَلِكَ الحينِ أنِ احْتاجَتِ البُنْدُقِيَّةُ إلى خِدْماتِ عُطيل؛ فَقَدْ وَصَلَتْ أنْباءٌ تُفيدُ بِأنَّ العَديدَ مِنَ السُّفُنِ التُّرْكِيَّةِ كانَتْ في طَريقِها إلى جَزيرَةِ قُبْرُص لا سْتِعادَتِها مِنْ أيْدي البُنْدُقِيّينَ الَّذينَ يَمْلِكونَ زِمامَ الأمورِ فيها . وَأعْلَنَ الجَميعُ أنَّ عُطيل هُوَ أنْسَبُ رَجُلٍ لِلدِّفاعِ عَنْ قُبْرُص في مُواجَهَةِ الأتْراكِ . وَهَكَذا وَقَفَ عُطيل، بَعْدَ أنْ دُعِيَ لِلْمُثولِ أمامَ مَجْلِسِ الشُّيوخِ ، تَتَنازَعُهُ صِفَتانِ ؛ صِفَةُ

المُنْقِذِ الَّذي تَحْتاجُ إِلَيْهِ البِلادُ لِلدِّفاعِ عَنْها ، وَصِفَةُ المُجرِمِ الَّذي تَقْضي الاتِّهاماتُ المُوَجَّهَةُ إِلَيْهِ في قانونِ البُنْدُقِيَّةِ بِإِعْدامِهِ .

وَاسْتَمَعَ أَعْضاءُ مَجْلِسِ الشُّيوخِ إِلى برابانْشيو بِأَناةٍ ، احْتِراماً لِسِنِّهِ وَشَخْصِيَّتِهِ . وَأَخَذَ يَكيلُ العَديدَ مِنَ التُّهَمِ المُوَجَّهَةِ إِلى عُطيل ، حَتّى إِنَّهُ عِنْدَما نُودِيَ عَلَيْهِ لِسَماعِ دِفاعِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سِوى أَنْ يَحْكِيَ قِصَّةَ حُبِّهِ . وَشَرَحَ كَيْفَ فازَ بِحُبِّ دِزْديمُونا ؛ فَأَلْقى كَلِمَتَهُ بِأَمانَةِ النُّبَلاءِ ؛ فَلَمْ يَسَعْ رَئِيسَ القُضاةِ سِوى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّ ابْنَتَهُ لَوْ سَمِعَتْ هَذِهِ القِصَّةَ نَفْسَها مِنْ عُطيل – لَفازَ بِحُبِّها هِيَ الأُخْرى . وَهُنا بَدا الأَمْرُ واضِحاً أَنَّ عُطيل لم يَسْتَخْدِمْ في حُبِّهِ سِوى أَصْدَقِ أَساليبِ الرِّجالِ في الحُبِّ . أَمّا السِّحْرُ الَّذي مارَسَهُ فَكانَ هُوَ مَقْدِرَتَهُ على أَنْ يَحْكِيَ قِصَّةً حُلْوَةً لِيَسْتَميلَ قَلْبَ فَتاةٍ .

صَدَّقَتْ دِزْديمُونا نَفْسَها على كَلامِ عُطيل ؛ إِذْ ظَهَرَتْ في ساحَةِ المَجْلِسِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَقَرَّتْ بِواجِبِها نَحْوَ أَبيها في حَياتِها وَتَرْبِيَتِها ، تَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ لَها بِأَنْ تُقِرَّ بِواجِبٍ أَسْمى نَحْوَ سَيِّدِها وَزَوْجِها .

نادى العَجوزُ ، بَعْدَ فَشَلِهِ في إِثْباتِ دَعْواهُ ، عَلى عُطيل لِلْمُثولِ أَمامَهُ . وَبِوَجْهٍ تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ عَلاماتُ أَسَفٍ كَثيرَةٌ ، قَدَّمَ لَهُ ابْنَتَهُ كَأَمْرٍ



حَتْمِيٍّ ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَوْ كانَ لَهُ أَن يمسّها عَنْهُ لَفَعَلَ بِكُلِّ إِصْرارٍ ، وَأَضافَ أَنَّهُ سَعيدٌ بِأَنْ لَيْسَ لَدَيْهِ أَبْناءٌ غَيْرُ دِزْديمُونا ؛ لأَنَّ سُلوكَها هَذا عَلَّمَهُ كَيْفَ يَكونُ قاسِياً .

وَبَعْدَ أَنْ تَغَلَّبَ عُطيل عَلى هَذِهِ المُشْكِلَةِ ، وَعَدَ بِخَوْضِ الحَرْبِ في قُبْرُص . وَفَضَّلَتْ دِزْديمُونا ذَلِكَ الشَّرَفَ لِزَوْجِها عَلى كُلِّ ما يَتَمَتَّعُ بِهِ حَديثو الزَّواجِ ، وَ وافَقَتْ بِكُلِّ ارْتِياحٍ عَلى سَفَرِهِ شَريطَةَ أَنْ يَسْمَحَ لَها بِالذَّهابِ مَعَهُ .

وَما إِنْ وَطِئَتْ أَقْدامُ عُطيل وَزَوْجَتِهِ أَرْضَ قُبْرُص حَتّى وَصَلَتِ الأَخْبارُ بِأَنَّ عاصِفَةً دَمَّرَتِ الأُسْطولَ التُّرْكِيَّ ، وَبِذَلِكَ أَمِنَتِ الجَزيرَةُ شَرَّ أَيِّ هُجومٍ . وَلَكِنَّ الحَرْبَ الَّتي بَدَأَ عُطيل يُقاسيها كانَتْ في بِدايَتِها ؛ تِلْكَ الحَرْبَ الَّتي كانَ العَدُوُّ فيها أَلْسُناً لَواذِعَ نالَتْ مِنْ شَرَفِ زَوْجَتِهِ . وَقَدْ كانَتْ هَذِهِ الحَرْبُ أَقْسى عَلَيْهِ مِنْ حَرْبِ الأَتْراكِ .

لَمْ يَنَلْ أَحَدٌ مِنْ أَصْدِقاءِ عُطيل كامِلَ ثِقَتِهِ مِثْلُ مايْكل كاسْيو ، وَهُوَ جُنْدِيٌّ شابٌّ مِنْ فلورنْسا ، بَشوشُ الوَجْهِ حَسَنُ المَظْهَرِ عَذْبُ اللِّسانِ . وَيَتَمَتَّعُ بِكُلِّ الصِّفاتِ الَّتي تَفْتِنُ النِّساءَ ، مِمّا يَدْعو لإِثارَةِ الغَيْرَةِ في قَلْبِ رَجُلٍ مُسِنٍّ ( كَعُطيل ) لَهُ زَوْجَةٌ شابَّةٌ وَجَميلَةٌ .

غَيْرَ أنَّ الغَيْرَةَ لَمْ تَعْرِفْ سَبيلَها إلى قَلْبِ عُطَيْل ، وَذَلِكَ لأنَّهُ كانَ رَجُلاً نَبيلاً ، يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالنّاسِ جَميعاً .

اِسْتَخْدَمَ عُطَيل صَديقَهُ كاسْيو رَسولَ غَرامٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دِزْديمُونا ؛ فَبِسَبَبِ افْتِقادِهِ لِحَلاوَةِ اللِّسانِ الَّتي تَسْتَميلُ النِّساءَ ، وَتَوافُرِ هَذِهِ السِّمَةِ في كاسْيو ، كانَ غالِباً ما يَطْلُبُ إلَيْهِ أنْ يَذْهَبَ إلى زَوْجَتِهِ ، وَيَبُثَّها حُبَّهُ إلَيْها . وَقَدْ كانَتْ هَذِهِ البَساطَةُ دَليلَ شَرَفٍ يُضافُ إلى أمْجادِ عُطَيل ، لا وَصْمَةً تُلَوِّثُ شَخْصِيَّتَهُ . وَلا عَجَبَ ، إذاً ، أنْ تَضَعَ دِزْديمُونا كاسْيو في المَرْتَبَةِ التّالِيَةِ لِعُطَيْل نَفْسِهِ في الاحْتِرامِ وَالثِّقَةِ .

لَمْ يُغَيِّرْ زَواجُ عُطَيل بِدِزْديمُونا سُلوكَهُما تِجاهَ كاسْيو ؛ فَقَدْ كانَ دائِمَ التَّرَدُّدِ عَلى عُشِّهِما . وَكانَ حَديثُهُ السّارُّ الطَّلْقُ سَبَباً في تَغْييرِ عُطَيل الَّذي لَمْ يَعْرِفْ في حَياتِهِ غَيْرَ الجِدِّ . وَكانَتْ دِزْديمُونا وَكاسْيو يَتَبادَلانِ الكَلامَ وَالضَّحِكَ مِثْلَما كانا أيّامَ كانَ يَذْهَبُ إلَيْها رَسولاً لِلْغَرامِ .

رَقَّى عُطَيل كاسْيو مُؤَخَّراً إلى رُتْبَةٍ أعْلى ، وَهِيَ رُتْبَةٌ أقْرَبُ إلى رُتْبَةِ القائِدِ نَفْسِهِ ، مِمّا سَبَّبَ ضيقاً كَبيراً لِياغو ، وَهُوَ ضابِطٌ أكْبَرُ مِنْ كاسْيو سِنّاً ، وَكانَ يَرى نَفْسَهُ أكْفَأ مِنْ كاسْيو . وَكانَ غالِباً ما





يَسْخَرُ مِنْهُ مُدَّعِياً أنَّهُ لا يَصْلُحُ إلّا لِمُصاحَبَةِ النِّساءِ فَقَطْ ، وَلا تَزيدُ مَعْرِفَتُهُ عَنْ فَنِّ الحَرْبِ أوْ كَيْفِيَّةِ إعْدادِ جَيْشٍ لِخَوْضِ مَعْرَكَةٍ شَيْئاً عَلى مَعْرِفَةِ فَتاةٍ .

كانَ ياغو يَنْفِسُ عَلى كاسْيو ، كَما كانَ يَكْرَهُ عُطَيل أيْضاً ، لا لأنَّهُ فَضَّلَ كاسْيو عَلَيْهِ ، وَقَرَّبَهُ إلَيْهِ فَحَسْبُ ، بَلْ لِما كانَ لَدَيْهِ مِنْ شَكٍّ جائِرٍ في أنَّ عُطَيل المَغْرِبِيَّ مُغْرَمٌ بِزَوْجَتِهِ إيميلْيا الَّتي كانَتْ خادِمَةً لِدِزْديمُونا . وَأخَذَ عَقْلُ ياغو الشِّرّيرِ يَنْسِجُ مَكيدَةً مُرَوِّعَةً لِلانْتِقامِ الَّذي قَدْ يودي بِحَياةِ كاسْيو وَعُطَيل ، وَحَياةِ دِزْديمُونا أيْضاً .

كانَ ياغو مُخادِعًا لئيمًا ، تعمَّقَ في دِراسةِ الشَّخْصيَّةِ الإنْسانيَّةِ ؛ فكانَ يَعْلَمُ أنَّ آلامَ الغَيْرَةِ تَذْهَبُ بِعقْلِ الرَّجُلِ أَكْثَرَ مِمَّا يُذْهِبُهُ أيُّ أَلَمٍ بَدَنِيٍّ . تِلْكَ الآلامُ الَّتي لا تُحْتَمَلُ لأَنَّها أَشَدُّ مِنْ غَيْرِها وَخزًا . وَإذا نَجَحَ في أَنْ يَجْعَلَ عُطيل يَغارُ مِنْ كاسْيو ، فَسَيَكونُ هَذا انْتِقامًا شافِيًا وَقَدْ يودي بِحَياةِ كاسْيو أَوْ عُطيل ، أَوْ بِكِلَيْهِما ؛ فَهَذا لا يَهُمُّهُ .

تَزامَنَ وُصولُ عُطيل وَزَوْجَتِهِ إلى قُبْرُص مَعَ أَخْبارٍ بِتَشَتُّتِ بَوارِجِ الأَعْداءِ ، وَأَدَّى إلى القِيامِ بِنَوْعٍ مِنَ الاسْتِرْخاءِ في الجَزيرَةِ ؛ فَقَدْ شارَكَ كُلُّ الأَفْرادِ في الاحْتِفالِ ، وَالشُّعورِ بِالمَرَحِ وَالبَهْجَةِ ، وَتَبادَلَ الجَميعُ الشَّرابَ احْتِفالاً بِقُدومِ عُطيل وَزَوْجَتِهِ الجَميلَةِ .

وَكانَ كاسْيو في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَنوطًا بِالحِراسَةِ ، وَكانَتْ لَدَيْهِ أَوامِرُ مِنْ قائِدِهِ بِمُراقَبَةِ الجُنودِ ، وَمَنْعِهِمْ مِنَ الإفْراطِ في الشَّرابِ كَيْلا يُحْدِثوا في الجَزيرَةِ صَخَبًا وَضَجيجًا مِنْ شَأْنِهِ تَرْويعُ أَهْلِها أَوْ إثارَةُ اسْتِيائِهِمْ .

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَدَأَ ياغو تَنْفيذَ مَكيدَتِهِ الدَّنيئَةِ ؛ فَتَظاهَرَ بِالوَلاءِ وَالحُبِّ لِعُطيل ، وَأَغْرى كاسْيو بِالإفْراطِ في الشَّرابِ ( وَهُوَ خَطَأٌ كَبيرٌ لِضابِطٍ قائِمٍ بِالحِراسَةِ ) . وَقَدْ رَفَضَ كاسْيو في أَوَّلِ الأَمْرِ ،



غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الثَّباتَ عَلى رَفْضِهِ ؛ إذْ غَرَّتْهُ مَظاهِرُ الحُرِّيَّةِ ، وَرَفْعُ الكُلْفَةِ الَّتي أَتْقَنَ ياغو اصْطِناعَها . وَسُرْعانَ ما جَرَعَ الكَأْسَ تِلْوَ الأُخْرى ، ثُمَّ انْطَلَقَ لِسانُهُ يَلْهَجُ بِالثَّناءِ عَلى دِزْديمونا ، وَأَخَذَ يَذْكُرُها مِرارًا وَتَكْرارًا ، وَيَصِفُها بِأَنَّها أَجْمَلُ امْرَأَةٍ . وَأَخيرًا سَلَبَ الشَّرابُ لُبَّهُ .

أَخَذَ ياغو في تِلْكَ الأَثْناءِ يُحَرِّضُ جُنْدِيًّا آخَرَ عَلى التَّحَرُّشِ بِكاسْيو . وامْتَشَقَ الاثْنانِ سَيْفَيْهِما ، وَعِنْدَما تَدَخَّلَ مونْتانو ، وَهُوَ ضابِطٌ كَبيرٌ ، لِوَقْفِ المُشاجَرَةِ أُصيبَ بِجُرْحٍ ، وَعَمَّتِ الفَوْضى المَكانَ . وَكانَ ياغو ، الَّذي بَدَأَ هَذا كُلَّهُ ، أَوَّلَ مَنْ حَذَّرَ مِنْ هَذِهِ الفَوْضى . وأَمَرَ بِأَنْ يُدَقَّ جَرَسُ القَلْعَةِ ، وَكَأَنَّ تَمَرُّدًا خَطيرًا قَدْ وَقَعَ ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ مُشاجَرَةٍ تافِهَةٍ نَتيجَةَ الشَّرابِ . وَأَيْقَظَ رَنينُ الجَرَسِ عُطيل ؛ فَارْتَدى مَلابِسَهُ بِسُرْعَةٍ . وَعِنْدَ وُصولِهِ إلى مَكانِ الشِّجارِ أَخَذَ في مُساءَلَةِ كاسْيو .

كانَ كاسْيو حينَذاكَ قَدْ ثابَ إلى رُشْدِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الخَجَلَ أَلْجَمَ لِسانَهُ عَنِ الكَلامِ . أَمَّا ياغو فَقَدِ ادَّعى عَدَمَ رَغْبَتِهِ في اتِّهامِ كاسْيو ، وَأَبْدى اضْطِرارَهُ إلى تَقْديمِ تَقْريرٍ كامِلٍ عَنِ المَوْقِفِ لِعُطيل ، الَّذي طَلَبَ أَنْ يَعْرِفَ الحَقيقَةَ .

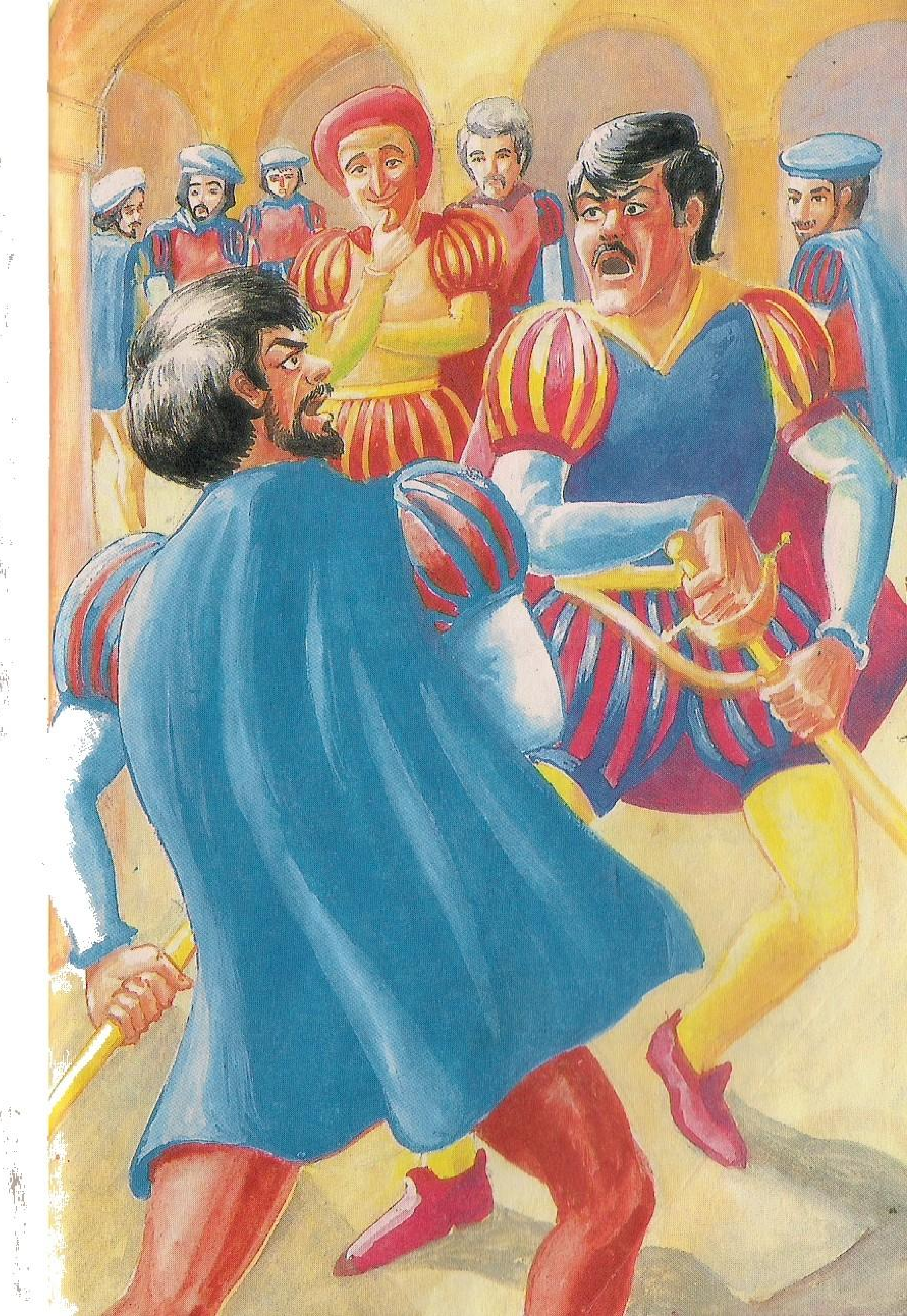
وَطَبيعِيٌّ أنْ لا يَذْكُرَ ياغو شيْئًا عَنْ دَوْرِهِ لِيَقينِهِ مِنْ أنَّ كاسْيو لا يَذْكُرُ شيْئًا لأنَّهُ كانَ غائِبًا عَنْ رُشْدِهِ . وَكانَ ياغو يَفْعَلُ هَذا بِطَريقَةٍ يَبْدو مِنْها أنَّهُ يُريدُ تَهْوينَ جُرْمِ كاسْيو عَلى حينِ هُوَ في الحَقيقَةِ يُهَوِّلُ الجُرْمَ ؛ فَكانَ عَلى عُطيل القائِدِ الحازِمِ المُؤْمِنِ بِالنِّظامِ أنْ يُجَرِّدَ كاسْيو مِنَ الرُّتْبَةِ الّتي مَنَحَهُ إيّاها مِنْ قَبْلُ .

وَهكَذا تَحَقَّقَ النَّجاحُ الكامِلُ لِمَكيدَةِ ياغو الأولى ؛ فَقَدْ أضْعَفَ مَرْكَزَ مُنافِسِهِ البَغيضِ كاسْيو ، وَأفْقَدَهُ رُتْبَتَهُ . غَيْرَ أنَّ غَرَضًا آخَرَ مِنْ وَراءِ تِلْكَ المَكيدَةِ كانَ كامِنًا في مُغامَرَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ المَنْكودَةِ .

صَرَّحَ كاسْيو بِحُزْنٍ لِياغو الَّذي كانَ لا يَزالُ يُظْهِرُ الصَّداقَةَ ، بِأنَّهُ كانَ مِنَ الغَباءِ أنْ يَجْعَلَ سُلوكَهُ مِثْلَ حَيَوانٍ . لَقَدْ خَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ ؛ فَكَيْفَ يَطْلُبُ إلى القائِدِ أنْ يُعيدَهُ إلى مَرْكَزِهِ ثانِيَةً ؟ مِنَ المُمْكِنِ أنْ يَقولَ لَهُ إنَّهُ كانَ ثَمِلاً ، وَلكِنَّهُ شَعَرَ بِازْدِراءٍ شَديدٍ لِنَفْسِهِ.

قالَ ياغو – مُتَظاهِرًا بِأنَّ ذَنْبَ كاسْيو لَمْ يَكُنْ عَظيمًا – إنَّهُ قَدْ يُفْرِطُ هُوَ أوْ غَيْرُهُ مِنَ النّاسِ في الشَّرابِ بَيْنَ الحينِ وَالآخَرِ ، وَلكِنْ يَجِبُ إصْلاحُ ما قَدْ فَسَدَ . وَكانَتْ زَوْجَةُ عُطَيْل هِيَ القائِدَ حينَذاكَ ، وَبِإمْكانِها فِعْلُ أيِّ شَيْءٍ مُشارَكَةً مَعَ عُطيل . وَعَلى كاسْيو أنْ





يَتَوسَّلَ إليْها لِتُصلحَ بيْنَهُ وَبيْنَ زَوْجِها . وَسَوْفَ يَدْفَعُها شَرَفُها وَطيبَةُ قَلْبِها إلى المُوافَقَةِ على هَذا الصَّنيعِ ، وَأنْ يَعودَ كاسْيو إلى ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ مَكانَةٍ ، وَبِهَذا يَتَّصِلُ بيْنَهُما حَبْلُ الوُدِّ ، وَيُصْبِحُ أقْوى مِمَّا كانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ . وَكانَ هَذا نُصْحاً طَيِّباً يُسْديهِ ياغو ، ما لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرائِهِ أغْراضٌ خَبيثَةٌ دَنيئَةٌ ، وَهَذا ما سَيَتَّضِحُ فيما بَعْدُ .

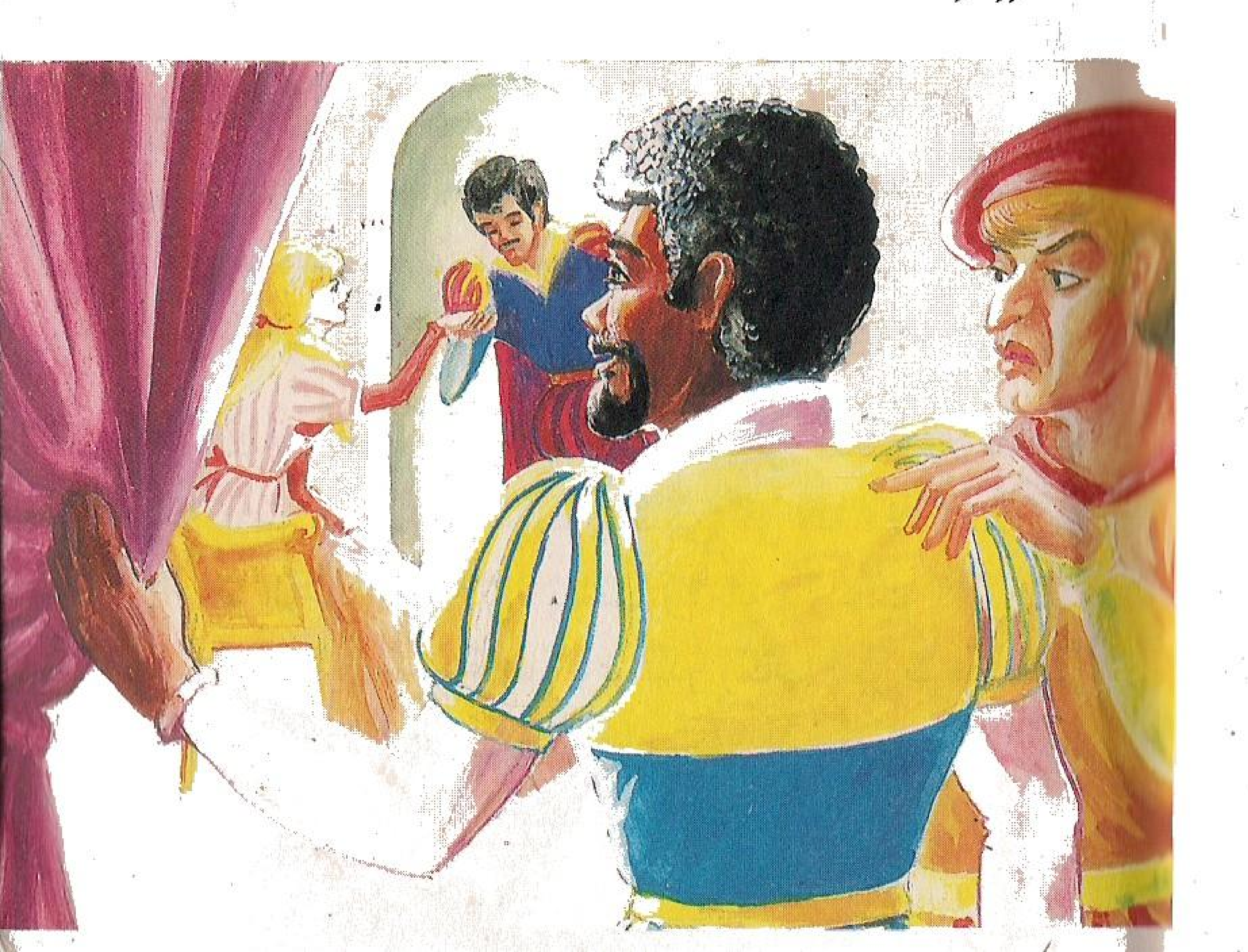
نَفَّذَ كاسْيو ما نَصَحَهُ بِهِ ياغو ، وَذَهَبَ إلى السَّيِّدَةِ دِزْديمُونا الَّتي وَعَدَتْهُ بِأنَّها سَتَفْعَلُ ما يَطْلُبُهُ مِنْها ، وَ وَعَدَتْهُ بِأنَّها سَتَرْجو زَوْجَها أنْ يَعْفُوَ عَنْهُ ، وَأنَّها تُفَضِّلُ المَوْتَ على أنْ تَتَخَلّى عَنْ قَضِيَّتِهِ .

بَدَأتْ دِزْديمُونا على الفَوْرِ في تَنْفيذِ ما وَعَدَتْ بِهِ بِطَريقَةٍ تَتَّسِمُ بِالجِدِّيَّةِ وَالبَراعَةِ ، مِمَّا جَعَلَ عُطيل ، الذي كانَ غاضِباً مِنْ كاسْيو أشَدَّ الغَضَبِ ، لا يَسْتَطيعُ رَفْضَها . وَعِنْدَما طَلَبَ مِنْها أنْ تَتَريَّثَ لأنَّ عَفْوَهُ عَنْ مِثْلِ هَذا الآثِمِ سابِقٌ جِدًّا لأوانِهِ ، لَمْ تَتَراجَعْ ، بَلْ ألَحَّتْ في طَلَبِها على ضَرورَةِ أنْ يَحْدُثَ هَذا في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ أوْ في صَباحِها ، أوِ الصَّباحِ الَّذي يَليهِ على أكْثَرِ تَقْديرٍ . وَأوْضَحَتْ كَمْ كانَ كاسْيو المِسْكينُ نادِماً وَقالَتْ إنَّ فَعْلَتَهُ لا تَسْتَحِقُّ مِثْلَ هَذا العِقابِ القاسي .

وَبَيْنَما عُطيل ثابِتٌ عَلى مَبْدَئِهِ هَبَّتْ دِزْديمُونا قائِلَةً : « ما هَذا



يا سَيِّدي ؟ هَلْ سَيَطولُ تَوَسُّلي مِنْ أجْلِ كاسْيو – مايْكِلْ كاسْيو ، ذلِكَ الرَّجُلِ الَّذي كُنْتَ تَبْعَثُ بِهِ إلَيَّ رَسولاً لِلْمَحَبَّةِ بيْنَنا ، وَالَّذي كانَ يَنْحازُ غالِباً إلى صَفِّكَ عِنْدَما تَبْدُرُ مِنّي كَلِمَةٌ في حَقِّكَ ؟ أظُنُّ أنَّ ما أطْلُبُهُ إلَيْكَ لَيْس إلّا أمْراً هَيِّناً ، وَإذا كُنْتُ أحاوِلُ اخْتِبارَ مَدى حُبِّكَ لي حَقيقَةً فَسَأطْلُبُ أمْراً أجَلَّ مِنْ هَذا شَأناً .» وَلَمْ يَسْتَطِعْ عُطَيل رَفْضَ مِثْلِ هَذِهِ التَّوَسُّلاتِ ، وَطَلَبَ إلى دزديمُونا أنْ تَدَعَهُ حيناً لِيَتَدَبَّرَ الأمْرَ . وَأخيراً وَعَدَها بِأنْ يُقَرِّبَ مايكلْ كاسْيو إلى مَكانَتِهِ ثانِيَةً .



حَدَثَ أنْ دَخَلَ عُطيل وَياغو الحُجْرَةَ حَيْثُ كانَتْ دِزْديمُونا ، وَكانَ كاسْيو ، الَّذي فَرَغَ مِنَ التَّوسُّلِ إِلَيْها لِمُساعَدَتِه ، في طَريقِهِ إلى الخُروجِ مِنَ البابِ المُقابِلِ . وَعِنْدَئِذٍ قالَ ياغو بِصَوْتٍ خافِتٍ ، وَكَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ .

لا يَروقُني هَذا !»

لَمْ يُعِرْ عُطيل انْتِباهاً لِمَا هَمَسَ بِهِ ياغو ؛ إذْ كانَ يَشْغَلُهُ لِقاءُ كاسْيو بِزَوْجَتِهِ ، إلّا أنَّهُ اسْتَرْجَعَ ما قالَهُ ياغو فيما بَعْدُ ؛ لأنَّ ياغو ، بَعْدَ خُروجِ دِزْديمُونا ، سَأَلَ عُطيل ، لأَغْراضٍ في نَفْسِهِ ، عَمَّا إذا كانَ مايْكل كاسْيو يَعْلَمُ بِحُبِّ عُطَيل لِدِزْديمُونا عِنْدَما كانَ الأخيرُ يَتَوَدَّدُ إِلَيْها لِيَتَزَوَّجَها ، وَرَدَّ القائِدُ بِالإيجابِ ، وَأَضافَ أَنَّهُ كانَ رَسولَ غَرامٍ بَيْنَهُما . وَبَدا ياغو مُسْتَغْرِقاً في التَّفْكيرِ كَأَنَّما يَشْغَلُهُ أَمْرٌ خَطيرٌ ، وَصاحَ : « يا لَلْعَجَبِ !»

وَاسْتَرْجَعَ عُطَيْل الكَلِماتِ الَّتي قالَها ياغو عِنْدَما دَخَلا الحُجْرَةَ وَرَأَيا كاسْيو مَعَ دِزْديمُونا . وَبَدَأَ يَرْبِطُ بَيْنَ كُلِّ هَذا ؛ لأَنَّهُ كانَ يَرى في ياغو الرَّجُلَ النَّزيهَ المَليءَ بِالحُبِّ وَالأَمانَةِ . وكانَتِ الحِيَلُ الَّتي يَقومُ بِها مَخْلوقٌ مُخادِعٌ مِثْلُ ياغو تَبْدو وَكَأَنَّها أُمورٌ طَبيعيَّةٌ تَصْدُرُ عَنْ تَفْكيرٍ سَوِيٍّ. وَمِنْ ثَمَّ أَصَرَّ عُطَيل على أنْ يُخْبِرَهُ ياغو بِكُلِّ ما



يَعْرِفُ وبِأَسْوَإِ ظُنونه .

قالَ ياغو : « وماذا في أنْ تَجِدَ بَعْضُ الأفْكارِ الشِّرِّيرَةِ مَدْخَلَها إلى نَفْسي إذا ما تَعَثَّرَتْ في الدُّخولِ إلى القَصْرِ .»

وَمَضى ياغو يَقولُ : « إنَّهُ لَمِنَ المُؤْسِفِ أنْ تَتَسَبَّبَ أيٌّ مِنْ هَذِهِ المُلاحَظاتِ غَيْرِ الدَّقيقَةِ في إزْعاجِ عُطيل وَجَعْلِهِ مُؤَرَّقاً ، فَمِنْ أجْلِ طُمأنينَةِ عَقْلِهِ يَنْبَغي أنْ لا يَطَّلِعَ عَلى أفْكارِهِ ، كَما أنَّ سيرَ النَّاسِ النَّظيفَةِ لا يَجوزُ أنْ تُلَوَّثَ بِسَبَبِ شُكوكٍ واهِيَةٍ .

وعِنْدَما تَسَبَّبَتْ هَذِهِ الإيحاءاتُ في اسْتِثارَةِ فُضولِ عُطيل إلى حَدِّ الجُنونِ ، تَوَسَّلَ إلَيْهِ ياغو يُحَذِّرُهُ مَغَبَّةَ الغَيْرَةِ ، وَكَأَنَّهُ يُفَكِّرُ بِإخْلاصٍ في سَلامَةِ عُطيل . وَبِمَهارَةٍ شَديدَةٍ اسْتَطاعَ هَذا الشِّرِّيرُ أنْ يَغْرِسَ بُذورَ الشَّكِّ في نَفْسِ عُطيل ، في الوَقْتِ الَّذي تَظاهَرَ فيهِ بِتَحْذيرِهِ مِنَ الشَّكِّ .

قالَ عُطَيْل : « أعْلَمُ أنَّ زَوْجَتي جَميلَةٌ تُحِبُّ الصُّحْبَةَ وَالمَرَحَ ، وَتَتَكَلَّمُ بِحُرِّيَّةٍ ، وَتُجيدُ الغِناءَ وَالرَّقْصَ وَاللَّهْوَ ؛ وَلَكِنْ حَيْثُ يَتَوَفَّرُ الخُلُقُ القَويمُ فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفاتِ جَميعَها مَحْبوبَةٌ ، لِذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ دَليلٍ قَبْلَ أنْ أتَّهِمَها بِالخِيانَةِ .»

وَعِنْدَئِذٍ تَظاهَرَ ياغو بِالفَرَحِ لِكَوْنِ عُطيل لَمْ يَتَسَرَّعْ في تَصْديقِ

أنَّ زَوْجَتَهُ أخْطَأَتْ ، وَأعْلَنَ صراحَةً أنْ لَيْسَ لَدَيْهِ أيُّ دَليلٍ . وَرَغْمَ ذلِكَ طَلَبَ إلى عُطيل أنْ يُراقِبَ تَصَرُّفاتِ دِزْديمُونا جَيِّدًا في وُجودِ كاسْيو ، وألا تَتَملَّكَهُ الغَيْرَةُ ، دونَ أنْ يُفْرِطَ في ثِقَتِهِ بِزَوْجَتِهِ ؛ لأنَّ ياغو كانَ يَعْرِفُ طَبائعَ الإيطالِيَّاتِ ، نِساءِ بَلْدَتِهِ ، أكْثَرَ مِمّا يَعْرِفُ عُطيل . وَأوْضَحَ أنَّ الزَّوْجاتِ في البُنْدُقِيَّةِ لا يَتَوَرَّعْنَ عَنْ الإتْيانِ بِالكَثيرِ مِنَ الحِيَلِ الَّتي يَخْشَيْنَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْها أزْواجُهُنَّ ، وَتَذَرَّعَ لِهَذِهِ الحُجَّةِ بِأنَّ دِزْديمُونا قَدْ خَدَعَتْ أباها عِنْدَما تَزَوَّجَتْ عُطَيْل ، وَجَعَلَتْ زَواجَها بِهِ سِرًّا حَتَّى ظَنَّ العَجوزُ المِسْكينُ أنَّهُ مِنْ فِعْلِ السِّحْرِ . وَ وَجَدَتْ هَذِهِ الحُجَّةُ طَريقَها إلى عُطَيْل ، فَإذا كانَتْ قَدْ خَدَعَتْ أباها فَلِمَ لا تَخْدَعُ زَوْجَها ؟

وَاعْتَذَرَ ياغو لِعُطيل عَنْ إزْعاجِهِ ، غَيْرَ أنَّ عُطيل ، الَّذي كانَ الحُزْنُ يَهُزُّ كِيانَهُ بِسَبَبِ كَلِماتِ ياغو ، تَظاهَرَ بِأنَّ الأمْرَ لا يَعْنيهِ وَطَلَبَ إلى ياغو المُضِيَّ في حَديثِهِ ، فَفَعَلَ ياغو بَعْدَ أنْ قَدَّمَ اعْتِذاراتٍ عَديدَةً كَأنَّهُ يَكْرَهُ أنْ يُثْبِتَ شَيْئًا عَلى كاسْيو الَّذي يَدَّعي أنَّهُ صَديقُهُ .

أخَذَ ياغو يُذَكِّرُ عُطيل بِأنَّ دِزْديمُونا رَفَضَتِ الكَثيرَ مِنَ الأزْواجِ المُلائمينَ مِنْ أبْناءِ بَلْدَتِها ، وَتَزَوَّجَتْهُ وَهُوَ المَغْرِبِيُّ الأسْوَدُ . وَهَذا يَعْني أنَّها امْرَأةٌ غَيْرُ طَبيعيَّةٍ ، وَذاتُ إرادَةٍ صُلْبَةٍ . وَعِنْدَما عادَ إلَيْها



صَوابُها كانَ هُناكَ احْتِمالٌ بِأنَّها بَدَأتْ تُقارِنُ بَيْنَ عُطيل وَ ذَوي البَشَرَةِ الرَّقيقَةِ البَيْضاءِ ، وَ الوَجْهِ المُشْرِقِ الوَضَّاءِ مِنَ الشَّبابِ الإيطالِيِّ – أبْناءِ بَلْدَتِها . وَأنْهى كَلامَهُ بِنُصْحِ عُطيْل بِأنْ يُرْجِئَ عَفْوَهُ عَنْ كاسْيو بَعْضَ الوَقْتِ ، وَأنْ يُلاحِظَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ مَدى تَوْقِ دِزْديمُونا إلى لِقاءِ كاسْيو ؛ فَهَذا أدْعى لِكَشْفِ الكَثيرِ .

بِهَذِهِ الطَّريقَةِ الشِّرِّيرَةِ اسْتَطاعَ هَذا المُخادِعُ اللَّئيمُ أنْ يَحيكَ خُطَطَهُ بِاسْتِغْلالِ الصِّفاتِ الرَّقيقَةِ لِهَذِهِ السَّيِّدَةِ البَريئَةِ لِسَحْقِها ، وَلِيَنْسِجَ مِنْ طَهارَتِها شَبَكَةً يوقِعُها في حَبائِلِها . أ لَمْ يُشَجِّعْ كاسيو في بِدايَةِ الأمْرِ عَلى أنْ يَتَوَسَّلَ إلَيْها لِتُساعِدَهُ ، ثُمَّ اسْتَغَلَّ هَذا لِيُخَطِّطَ لِتَدْميرِها ؟

انْتَهى اللِّقاءُ عِنْدَما تَوَسَّلَ ياغو إلى عُطيل أنْ يُصَدِّقَ أنَّ زَوْجَتَهُ بَريئَةٌ حَتَّى يَظْهَرَ دَليلٌ قاطِعٌ فَالمُتَّهَمُ بَريءٌ إلى أنْ تَثْبُتَ إدانَتُهُ ؛ فَوَعَدَهُ عُطَيْل بِأنْ يَتَذَرَّعَ بِالصَّبْرِ .

وَرَغْمَ ذَلِكَ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ لَمْ يَذُقْ عُطيل المَخْدوعُ طَعْمًا لِلسَّعادَةِ ؛ فَلَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ شَيْءٌ يُعيدُ إلَيْهِ حَلاوَةَ الماضي ، تِلْكَ الَّتي كانَ يَسْتَمْتِعُ بِها حَتَّى الأمْسِ . وَبَدَأ يَضيقُ بِعَمَلِهِ ، وَلَمْ يَعُدْ يُبْهِجُهُ صَليلُ السُّيوفِ . أمَّا قَلْبُهُ الَّذي ألِفَ أنْ تُثيرَهُ رُؤْيَةُ الجُنودِ مُسْتَعِدِّينَ

لِلْقِتال ، وَيَنْبِضُ بَلْ يَكادُ يَثِبُ عِنْدَ دَقِّ الطُّبول ؛ فَقَدْ بَدا وَكَأَنَّهُ فَقَدَ تِلْكَ الكِبْرِياءَ وَذَلِكَ الطُّموحَ اللَّذَيْنِ هُما مُتْعَةُ الجُنْدِيِّ . وَتَلاشَتْ لَهْفَتُهُ وَأَفْراحُهُ القَديمَةُ .

وَكان عُطَيْل يُؤْمِنُ أَحْيانًا بِإِخْلاصِ زَوْجَتِهِ ، وَأَحْيانًا أُخْرى يَرى العَكْسَ . وَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَنْمِ إِلى عِلْمِهِ شَيْءٌ بالمَرَّةِ ، فَلَنْ يُضيرَهُ شَيْءٌ إذا كانَتْ تُحِبُّ كاسيو ، ما دامَ لا يَعْرِفُ بِهَذا الحُبِّ .

وَلَمَّا شَعَرَ بِهَذِهِ الأَفْكارِ تُمَزِّقُهُ ، انْقَضَّ عَلى عُنُقِ ياغو ، وَطَلَبَ مِنْهُ دَليلاً عَلى خِيانَةِ دِزْديمُونا وَإِلّا قَتَلَهُ في الحالِ ؛ جَزاءَ ما اخْتَلَقَهُ عَنْها مِنْ أَكاذيبَ .

وَتَظاهَرَ ياغو بِالغَضَبِ لِشَكِّ عُطَيْل في أَمانَتِهِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا إِذا كانَ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ رَأى مَعَ زَوْجَتِهِ مِنْديلاً مُزَخْرَفًا بِثَمَرِ التُّوتِ ، فَأَجابَهُ عُطَيْل بِأَنَّهُ هُوَ الَّذي أَعْطاها إِيَّاهُ هَدِيَّةً أولى .

قالَ ياغو : « لَقَدْ رَأَيْتُ مايْكل كاسْيو اليَوْمَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِهَذا المِنْديلِ .»

قال عُطَيْل : « إِذا كُنْتَ تَقولُ الحَقَّ فَلَنْ يَهْدَأَ لي بالٌ حَتَّى أَقْتَصَّ مِنْهُما . عَلَيْكَ أَوَّلاً أَنْ تُثْبِتَ وَفاءَكَ ، فَأَنا أَقْدِرُ لِكاسْيو أَنْ



يَموتَ خِلالَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ . أَمَّا فيما يَتَعَلَّقُ بِالشَّيْطانِ الجَميلِ ( يَعْني زَوْجَتَهُ ) فَسَأَنْصَرِفُ الآنَ لأُدَبِّرَ وَسيلَةً سَريعَةً لِمَوْتِها .»

يَرى الغَيورُ الأَشْياءَ الصَّغيرَةَ التَّافِهَةَ أَدِلَّةً دامِغَةً كَالْكُتُبِ المُقَدَّسَةِ في قُوَّتِها ؛ لِذا وَجَدَ عُطَيل المَخْدوعُ مِنْديلَ زَوْجَتِهِ في يَدِ كاسْيو دَليلاً كافِياً لِلْحُكْمِ عَلى الاثْنَيْنِ بِالإِعْدامِ ، دونَ سُؤالِ كاسْيو عَنْ كَيْفِيَّةِ حُصولِهِ عَلَيْهِ . إِنَّ دِزْديمُونا لَمْ تُقَدِّمِ المِنْديلَ هَدِيَّةً إِلى كاسْيو ، وَلَمْ تُفَكِّرْ في فِعْلِ هَذا ، وَكِلاهُما بَريءٌ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ ضِدَّ عُطَيل . إِنَّهُ الشِّرِّيرُ ياغو الَّذي أَوْعَزَ إِلى زَوْجَتِهِ ( وَهِيَ امْرَأَةٌ فاضِلَةٌ وَلَكِنَّها ضَعيفَةُ الشَّخْصِيَّةِ ) بِأَنْ تَسْرِقَ هَذا المِنْديلَ مِنْ دِزْديمُونا بِحُجَّةِ أَنَّهُ يُريدُ نَسْجَ مِثْلِهِ . وَلَكِنَّ غَرَضَهُ الحَقيقِيَّ مِنْ وَراءِ هَذا ، عَلى أَيَّةِ حالٍ ، هُوَ أَنْ يَرْمِيَهُ في طَريقِ كاسْيو حَيْثُ يَعْثُرُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَثْبُتُ عَلَيْهِ ما قالَهُ ياغو مِنْ أَنَّ المِنْديلَ كانَ هَدِيَّةَ دِزْديمُونا إِلَيْهِ .

وَعِنْدَما لَقِيَ عُطَيْل زَوْجَتَهُ بَعْدَ هَذا ، ادَّعى الإِصابَةَ بِالصُّداعِ ، وَطَلَبَ إِلَيْها أَنْ تُعيرَهُ مِنْديلَها كَيْ يُعَصِّبَ بِهِ رَأْسَهُ ، فَأَعْطَتْهُ مِنْديلَها.

صاحَ عُطَيل : « لا . لَيْسَ هَذا ، وَإِنَّما ذَلِكَ المِنْديلُ الَّذي أَعْطَيْتُكِ إِيَّاهُ .»

لَمْ يكُنِ المِنْديلُ مَعَ دِزْديمُونا ( لأَنَّهُ سُرِقَ كَما سَبَقَ ذِكْرُهُ ) .

قالَ عُطيل : « ماذا ؟! إنَّها في الواقعِ غَلْطَةٌ ! إنَّ امْرَأَةً مِصْرِيَّةً هِيَ الَّتي أعْطَتْ أمِّي هَذا المِنْديلَ ، وَقالَتْ لَها إنَّها إذا ما احْتَفَظَتْ بِهِ فَسَيَظَلُّ أبي على حُبِّها ، وَإذا فَقَدَتْهُ أوْ فَرَّطَتْ فيهِ فَإنَّها سَتَفْقِدُ حُبَّهُ ، وَسَيَكْرَهُها بِقَدْرِ ما كانَ يُحِبُّها . وَقَبْلَ مَوْتِها أعْطَتْني هَذا المِنْديلَ ، وَنَصَحَتْني بِأنْ أهْدِيَهُ إلى زَوْجَتي عِنْدَ زَواجي ، وَقَدْ فَعَلْتُ . تَذَكَّري هَذا جَيِّداً ، وَاحْرِصي عَلَيْهِ حِرْصَكِ على عَيْنَيْكِ .

سَأَلَتْهُ دِزْديمُونا مَذْعورَةً : « هَلْ هَذا مُمْكِنٌ ؟»

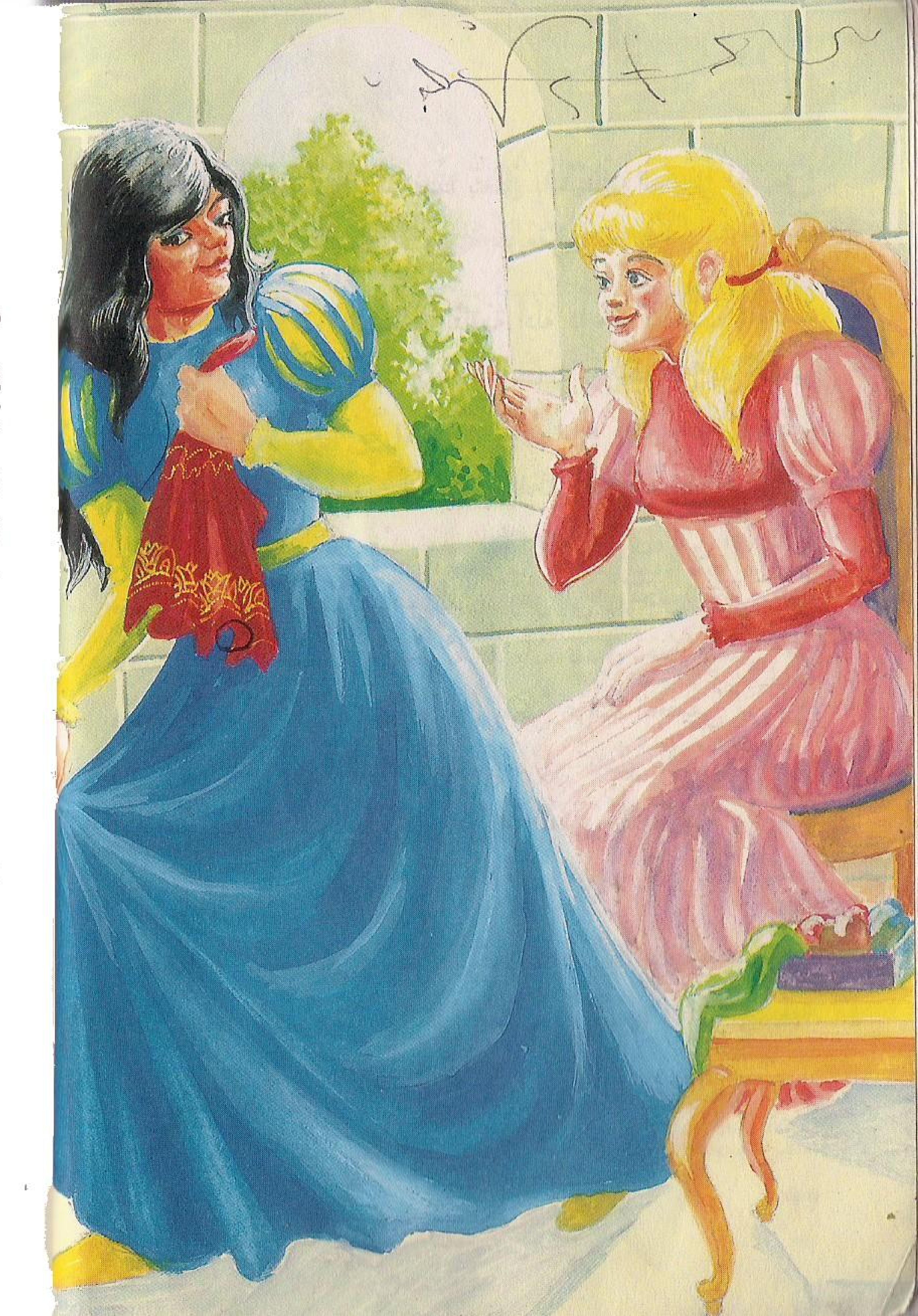
مَضى عُطيل في حَديثِهِ قائِلاً : « هَذا صَحيحٌ ، فَهُوَ مِنْديلٌ سِحْرِيٌّ .»

ارْتاعَتْ دِزْديمُونا بَعْدَ مَعْرِفَةِ خَصائِصِ المِنْديلِ العَجيبَةِ ، وَكادَتْ تَموتُ ذُعْراً ؛ فَقَدْ كانَتْ تَعْرِفُ جَيِّداً أنَّها فَقَدَتْه ، وَخَسِرَتْ بِفَقْدِهِ حُبَّ زَوْجِها .

وَأَلَحَّ عُطيل في طَلَبِ المِنْديلِ ، وَلَمَّا عَجَزَتْ عَنِ الإتْيانِ بِهِ حاوَلَتْ أنْ تَصْرِفَ زَوْجَها عَنْ الاعْتِقادِ في جِدِّيَّةِ أفْكارِهِ .

وَقالَتْ لَهُ مُنْشَرِحَةً إنَّها كانَتْ تَرى أنَّ ما قَصَّهُ عَنِ المِنْديلِ قَصَدَ





بِهِ مَنْعَها مِنَ التوسُّط لِمايكِل كَاسيو ، الَّذي بَدَأتْ تَمْدَحُهُ ( كما توقَّعَ ياغو ) . وَفي نِهايَةِ الأمْرِ انْدفَعَ عُطيل خارِجاً مِنَ الحُجْرَة في جُنونٍ . وَمِنْ ثَمَّ بَدَأتْ دِزْديمُونا تَشُكُّ ، رَغْماً عَنْها ، في أنَّ الغَيْرَة تَملَّكَتْ زَوْجَها .

وَلَمْ تَجِدْ دِزْديمُونا أنَّها اقْتَرفَتْ ذَنْباً يَدْفَعُهُ لِهَذا . وَأخَذَتْ تَلومُ نَفْسَها عَلى اتِّهامِها لِعُطيل النَّبيل ، وَاعْتَقَدَتْ أنَّهُ رُبَّما كانَتْ ثَمَّةَ أنْباءٌ غَيْرُ سارَّةٍ عَنِ البُنْدُقيَّةِ ، أوْ أنَّ بَعْضَ مَشاكِلِ الدَّوْلَةِ هِيَ الَّتي تَسبَّبَتْ في غَضَبِهِ ، وَقالَتْ لِنَفْسِها : « إنَّ الرِّجالَ لَيْسوا آلِهَةً ، وَيَجِبُ ألا نَنْتَظِرَ مِنْهُمُ المُداوَمَةَ عَلى ما يُظْهِرونَهُ لَنا مِنْ تَوَدُّدٍ وَمُلاطَفَةٍ في لَيْلَةِ الزِّفافِ . » ثُمَّ عادَتْ تَلومُ نَفْسَها لأنَّها حَكَمَتْ عَلى غَيْرَته بِقَسْوَةٍ .

عِنْدَما الْتَقى عُطَيْل وَدِزْديمُونا ثانِيَةً اتَّهَمَها صَراحَةً بِالخِيانَةِ ، وَبِأنَّها تُحِبُّ رَجُلاً آخَرَ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ .

وَأخَذَ عُطيل في البُكاءِ ، فَقالَتْ دِزْديمُونا : « وا أسَفاهُ ! ما أثْقَلَ هَذا اليَوْمَ ! لِمَ تَبْكي ؟ »

وَأخْبَرَها عُطيل بِأنَّهُ تَحَمَّلَ جَميعَ أنْواعِ الشُّرورِ بِشَجاعَةٍ : مِنْ فَقْرٍ وَمَرَضٍ وَخِزْيٍ ، غَيْرَ أنَّ خِيانَتَها تَمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِهِ وَحَطَّمَتْهُ ،



وَشَبَّهَها بِنَبْتَةٍ تَبْدو جَميلَةَ المَنْظَرِ طَيِّبَةَ الرَّائِحَةِ ، وَتَمَنَّى أنْ لَوْ كانَتْ نَسْياً مَنْسِيّاً .

وَعِنْدَما تَرَكَها عُطَيْل ، تَمَلَّكَ هَذِهِ السَّيِّدَةَ البَريئَةَ العَجَبُ الشَّديدُ مِنْ شُكوكِ زَوْجِها فيها دونَما أساسٍ ، حَتَّى إنَّها شَعَرَتْ بِالتَّعَبِ وَبِالمَيْلِ إلى الاسْتِغْراقِ في نَوْمٍ عَميقٍ ، وَأمَرَتْ خادِمَتَها بِتَجْهيزِ الفِراشِ . وَقالَتْ مُعَقِّبَةً إنَّ النّاسَ عِنْدَما يُعَلِّمونَ صِغارَهُمْ إنَّما يَأخُذونَهُمْ بِاللُّطْفِ ، وَهَذا ما لَمْ يَفْعَلْهُ عُطيلٌ عِنْدَما كانَ يَلومُها . وَكانَتْ هَذِهِ شَكْواها الوَحيدَةَ .

أوَتْ دِزْديمُونا إلى الفِراشِ مُتَوَقِّعَةً أنْ يَتْبَعَها زَوْجُها . وَما إنْ راحَتْ في نَوْمٍ يَشوبُهُ شَيْءٌ مِنَ القَلَقِ ، حَتَّى دَخَلَ عُطيل الحُجْرَةَ ، يُسَيْطِرُ عَلَيْهِ هاجِسٌ شِرِّيرٌ يُزَيِّنُ لَهُ قَتْلَها . وَعِنْدَما رَآها نائِمَةً فَكَّرَ في ألا يُريقَ دَمَها أوْ يُلَطِّخَ بَشَرَتَها البَيْضاءَ . وَلَكِنَّهُ كانَ مُصَمِّماً ، عَلى أيَّةِ حالٍ ، عَلى قَتْلِها ، وَأنَّها إذا لَمْ تَمُتْ فَسَتَعيشُ لِتَكونَ خائِنَةً لِلْمَزيدِ مِنَ الرِّجالِ كَما فَعَلَتْ مَعَهُ . وَهُنا قَبَّلَها لِلْمَرَّةِ الأخيرَةِ ، غَيْرَ أنَّ تِلْكَ القُبْلَةَ بَلَغَتْ مِنَ الحَلاوَةِ ما جَعَلَهُ يُقَبِّلُها مَرَّةً أخْرى وَهُوَ يَنْتَحِبُ .

وَأيْقَظَتْ قُبْلَةُ عُطيل دِزْديمُونا ، وَنَظَرَتْ إلَيْهِ فَرَأتْهُ يَعَضُّ شَفَتَهُ

السُّفْلى وَقَدْ تَجمَّدَتْ عَيْناهُ في مَحْجَرَيْهِما ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ مَنْظَرَهُ هذا يُنْذِرُ بِالخَطَرِ . وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ وَتَسْأَلَ اللَّهَ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ .

وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ الزَّوْجَةُ البَريئَةُ ، وَهِيَ تَحْتَ رَحْمَتِهِ ، أَنْ يَرْأَفَ بِها ، وَطَلَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ جَريرَتَها . وَعِنْدَئِذٍ ذَكَرَ لَها اسْمَ كاسْيو ، وَذَكَرَ المِنْديلَ الَّذي زَعَمَ أَنَّها أَعْطَتْهُ إِيّاهُ . وَما إِنْ بَدَأَتِ السَّيِّدَةُ تَوْضيحَ الأَمْرِ حَتَّى رَفَضَ فَجْأَةً سَماعَ أَيَّةِ كَلِمَةٍ ، وَأَلْقى غِطاءَ الفِراشِ عَلى وَجْهِها ، وَكَتَمَ أَنْفاسَها حَتَّى ماتَتْ .

وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها نُقِلَ كاسْيو إِلى المَنْزِلِ مُصاباً ، تَسيلُ مِنْهُ الدِّماءُ . وَكانَ ياغو قَدْ أَرْسَلَ أَحَدَ رِجالِهِ لِيَغْتالَهُ وَلكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ ، فَما كانَ جَزاؤُهُ إِلّا أَنْ قَتَلَهُ ياغو حَتّى لا يُفْتَضَحَ سِرُّهُ . وَتَمَّ العُثورُ عَلى بَعْضِ الرَّسائِلِ في جُيوبِ هذا الرَّجُلِ ، كَشَفَتْ عَنْ بَراءَةِ كاسْيو وَأَثْبَتَتْ جُرْمَ ياغو . وَجاءَ كاسْيو لِيَطْلُبَ إِلى عُطَيل العَفْوَ ، وَيَسْأَلَهُ عَنِ الذَّنْبِ الَّذي اقْتَرَفَهُ حَتّى يُكَلِّفَ ياغو بِقَتْلِه .

وَنَزَلَتْ هذِهِ المُفاجَأَةُ عَلى عُطَيل نُزولَ الصّاعِقَةِ ، وَتَكَشَّفَ لَهُ بِوُضوحٍ أَنَّهُ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ قاتِلٍ سَفّاحٍ ، وَأَنَّ زَوْجَتَهُ كانَتْ مُخْلِصَةً لَهُ عَلى الدَّوامِ . وَتَسَبَّبَ هذا السِّرُّ في إِحْساسِهِ بِأَلَمٍ شَديدٍ وَنَدَمٍ



جَعَلا حَياتَهُ جَحيماً لا يُطاقُ ؛ فَرَمى بِنَفْسِهِ عَلى طَرَفِ سَيْفِهِ وَانْقَلَبَ عَلى جُثَّةِ زَوْجَتِهِ جُثَّةً هامِدَةً .

مَلأَتْ هذِهِ الأَحْداثُ المُرْعِبَةُ الحاضِرينَ بِدَهْشَةٍ وَفَزَعٍ هائِلَيْنِ ؛ فَقَدْ كانَ عُطَيل يَتَمَتَّعُ دائِماً بِسُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَكانَ مِنْ أَكْثَرِ الأَزْواجِ حُبّاً لِزَوْجَتِهِ قَبْلَ أن تَخْدَعَهُ شُرورُ ياغو ، وَلَمْ تَدَعْهُ طَبيعَتُهُ النَّبيلَةُ يَشُكُّ فيهِ لَحْظَةً . لَقَدْ أَحَبَّ بِغَيْرِ حِكْمَةٍ ، بَلْ فاضَ حُبُّهُ وَطَغى ، وَذَرَفَتْ عَيْناهُ الدَّمْعَ الغَزيرَ عِنْدَما عَرَفَ خَطَأَهُ رَغْمَ كَوْنِهِما لَمْ تَتَمَرَّسا بِالبُكاءِ . وَعِنْدَ وَفاتِهِ تَذَكَّرَ الجَميعُ طيبَتَهُ وَأَعْمالَهُ الشُّجاعَةَ .

بَقِيَ شَيْئانِ فَقَطْ : نُفِّذَ القانونُ في ياغو الَّذي حُكِمَ عَلَيْهِ بِالإِعْدامِ ، فَماتَ ميتَةً شَنيعَةً ، تُوَدِّعُهُ لَعَناتُ النّاسِ . وَالشَّيْءُ الثّاني هُوَ ما أَبْلَغَتْ بِهِ وِلايَةُ البُنْدُقِيَّةِ وَشَعْبُها بِالنِّهايَةِ المُفْجِعَةِ لِقائِدِهِمُ المَشْهورِ .

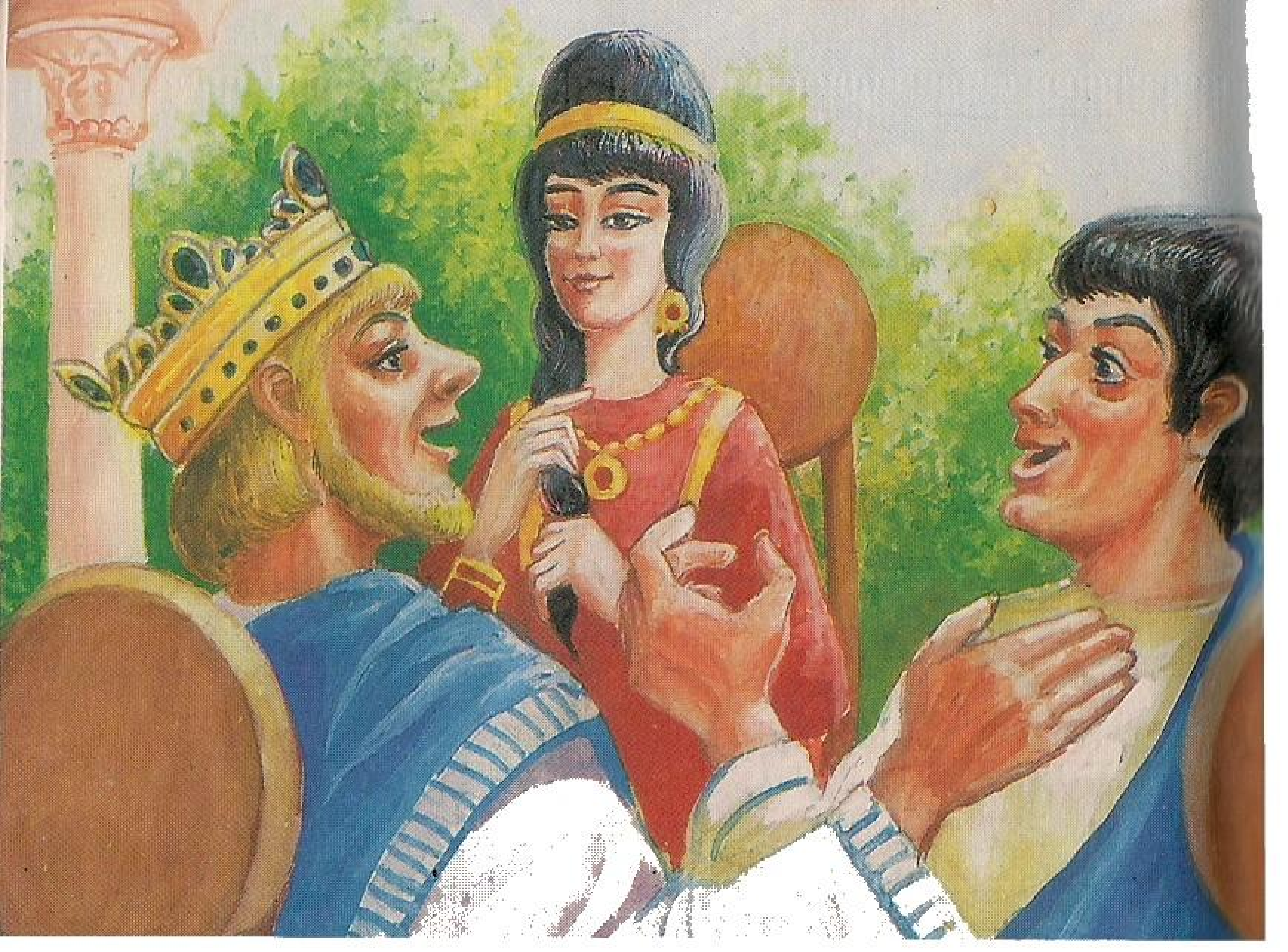
# حِكايَةُ الشِّتاءِ

كانَ لِيُونْتيز ، مَلِكُ صِقِلِّيَّة ، يَعيشُ هُوَ وزَوْجَتُهُ الفاضِلَةُ الجَميلَةُ هِرْمايُوني أَسْعَدَ حياةٍ . وكانَ جِدَّ سَعيدٍ في حُبِّهِ لِهَذِهِ السَّيِّدَةِ الرّائِعَةِ لِدَرَجَةٍ كانَتْ تُغْنيهِ عَنِ الرَّغْبَةِ في أيِّ شيءٍ آخَرَ ، إلّا ما كانَ يُلِحُّ عَلَيْهِ بَيْنَ الحين والآخَرِ مِنْ رَغْبَةٍ في أَنْ يُعَرِّفَ إلى زَوْجَتِهِ صَديقَهُ القَديمَ ورَفيقَ صِباهُ بُوليكْسِينيز ، مَلِكَ بوهيميا .

وكانَ لِيُونْتيز قَدْ نَشَأَ مَعَ بُوليكْسِينيز مُنْذُ الطُّفولَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُما فيما بَعْدُ لَمْ يَلْتَقِيا لِسَنَواتٍ عَديدَةٍ ، بِسَبَبِ انْشِغالِ كُلٍّ مِنْهُما بِأُمورِ مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ وَفاةِ أَبَوَيْهِما ، ولَكِنَّهُما كانا يَتَبادَلانِ الهَدايا والرَّسائِلَ مِمّا يُبْقي عَلى ما بَيْنَهُما مِنْ وُدٍّ ومَحَبَّةٍ .

وأَخيراً ، وبَعْدَ عِدَّةِ دَعَواتٍ ، جاءَ بُوليكْسِينيز مِنْ بوهيميا إلى





البَلاطِ الصِّقِلِّيِّ لِزِيارَةِ صَديقِهِ لِيُونْتيز .

وَسُرَّ لِيُونْتيز في أَوَّلِ الأَمْرِ بِهَذِهِ الزِّيارَةِ حتّى إنَّهُ طَلَبَ إلى زَوْجَتِهِ المَلِكَةِ أَنْ تُعْنَى بِرَفيقِ صِباهُ عِنايَةً خاصَّةً ، وتُولِيَهُ اهْتِمامَها الخاصَّ . وبَدَتْ عَلَيْهِ السَّعادَةُ في أَتَمِّ صُوَرِها وهُوَ في صُحْبَةِ رَفيقِهِ القَديمِ . وعِنْدَما جَلَسا يَتَحَدَّثانِ عَنِ الماضي تَذَكَّرا أَيّامَ الدِّراسَةِ ولَهْوَ الصِّبا ، وأَخَذا يَسْتَرْجِعانِ قِصَصاً مِنْها لِهِرْمايُوني ، الَّتي كانَتْ تُشارِكُهُما دائِماً بِالبِشْرِ والحُبورِ في هَذِهِ الأَحاديثِ .

وبَعْدَ إقامَةٍ مَديدَةٍ أَخَذَ بُوليكْسِينيز يُعِدُّ العُدَّةَ لإنْهاءِ زِيارَتِهِ ، عِنْدَما

طَلَبَتْ إلَيْهِ هِرْمايُوني ، بإيعازٍ مِنْ زَوْجِها ، أنْ يَبْقى وَيَمُدَّ الزِّيارَةَ . وَهُنا بَدَأَتْ أحْزانُ المَلِكَةِ الفاضِلَةِ ؛ إذْ جاءَ نُزولُ بُوليكْسِينيز على رَغْبَةِ هِرْمايُوني في بَقائِهِ ، مُتأثِّرًا بِكَلِماتِها الرَّقيقَةِ بَعْدَ اعْتِذارِهِ عَنْ عَدَمِ تَلْبِيَةِ طَلَبِ لِيُونْتِيز ؛ لِيُؤَجِّجَ الغَيْرَةَ في قَلْبِ لِيُونْتِيز حَتّى اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ رَغْمَ ثِقَتِهِ بِأمانَةِ صَديقِهِ بُوليكْسِينيز ، وإيمانِه بِعِفَّةِ زَوْجَتِهِ الفاضِلَةِ . وَطَفِقَ كُلُّ فِعْلٍ تَقومُ بِهِ هِرْمايُوني نَحْوَ بُوليكْسِينيز، لا لِشَيْءٍ إلا لإرْضاءِ زَوْجِها ، يَزيدُ مِنْ غَيْرَةِ المَلِكِ التَّعيسِ ، الَّذي تَحَوَّلَ مِنْ أخْلَصِ صَديقٍ وَأفْضَلِ زَوْجٍ إلى مَخْلوقٍ بَشِعٍ ؛ فَقَدْ أرْسَلَ في طَلَبِ كاميلّو ، أحَدِ لوردات بَلاطِهِ ، وأخْبَرَهُ بِشُكوكِهِ في إخْلاصِ زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَدُسَّ السُّمَّ لِبُوليكْسِينيز . غَيْرَ أنَّ كاميلّو كانَ رَجُلاً صالِحًا ، وَكانَ يَعْرِفُ أنَّ ما يَشُكُّ فيهِ مَلِكُهُ يَخْلو مِنَ الحَقيقَةِ ؛ فَبَدَلاً مِنْ أنْ يَدُسَّ السُّمَّ لِبُوليكْسِينيز كاشَفَهُ بِما أمَرَهُ بِهِ سَيِّدُهُ ، واتَّفَقا عَلى الفِرارِ مِنْ صِقِلِّيَّةَ . وَهَكَذا وَصَلَ بُوليكْسِينيز إلى مَمْلَكَتِهِ – بوهيميا – آمِنًا بِمُساعَدَةِ كاميلّو . وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ عاشَ كاميلّو في بَلاطِ المَلِكِ ، وأصْبَحَ مِنْ خُلَصاءِ بُوليكْسِينيز وأحَبِّهِمْ إلى قَلْبِهِ .

وَقَدْ زادَ هَرَبُ بُوليكْسِينيز مِنْ غَضَبِ لِيُونْتِيز الغَيورِ ، فَذَهَبَ إلى حُجْرَةِ المَلِكَةِ حَيْثُ كانَ يَجْلِسُ مَعَها ابْنُها الأصْغَرُ مامِلْيُوس ،

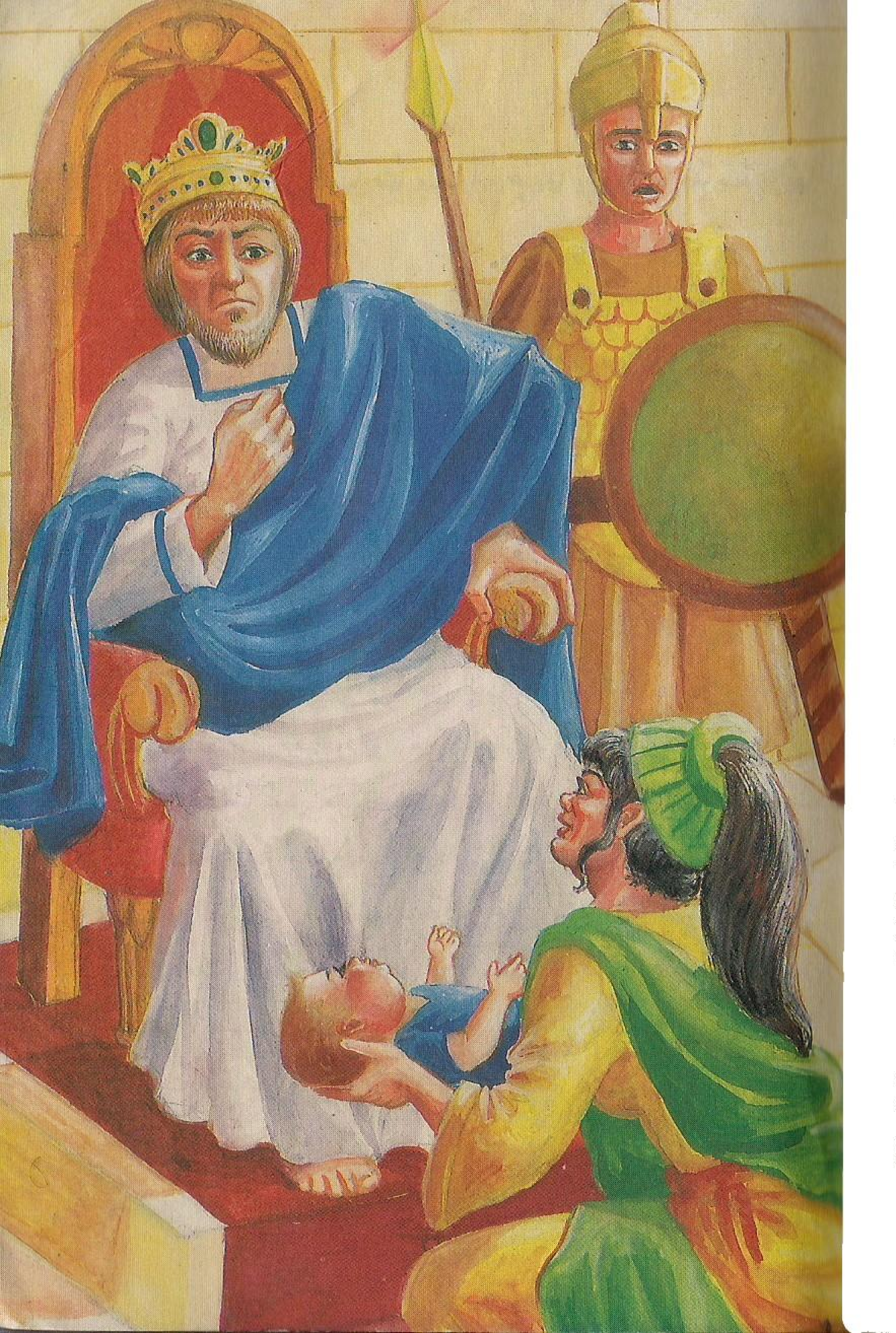


مُتَهَيِّئًا لأنْ يَقُصَّ عَلَيْها أحْسَنَ ما يَعْرِفُهُ مِنْ قِصَصٍ لِيُسَلِّيَها ؛ فَأبْعَدَ الصَّبِيَّ عَنْها ، ثُمَّ زَجَّ بِها في السِّجْنِ . وَرَغْمَ حَداثَةِ سِنِّ مامِلْيُوس ، إلّا أنَّهُ أحَسَّ بالاسْتِياءِ حينَما رَأى أُمَّهُ تُهانُ هَذا الهَوانَ ، وَرَآها تُقْصى عَنْهُ لِيُزَجَّ بِها في السِّجْنِ . وَرَغِبَ عَنِ الأكْلِ وَالنَّوْمِ تَدْريجيًّا ، إلى أنْ فَقَدَ الرَّغْبَةَ فيهِما تَمامًا ، حَتّى ظُنَّ أنَّ حُزْنَهُ سَوْفَ يَقْتُلُهُ .

وَبَعْدَ أنْ أرْسَلَ المَلِكُ زَوْجَتَهُ المَلِكَةَ إلى السِّجْنِ ، أمَرَ اثْنَيْنِ مِنْ رِجالِهِ ، هُما كليُومِينيز و دايون ، بِالذَّهابِ إلى مَدينَةِ دِلْفوس وَمَعْرِفَةِ الحَقيقَةِ مِنْ كاهِنِ مَعْبَدِ أبوللو .

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ وَضَعَتْ هِرْمايُوني المِسْكينَةُ بِنْتًا في السِّجْنِ ، وَكانَتْ كُلَّما نَظَرَتْ إلَيْها وَجَدَتْ فيها السَّلْوى وَالعَزاءَ ، وَكانَتْ تُخاطِبُها بِقَوْلِها : « أيَّتُها السَّجينَةُ الصَّغيرَةُ المِسْكينَةُ ؛ إنَّ جَريرَتي مِثْلُ جَريرَتِكِ . »

وَكانَتْ لِهِرْمايُوني صَديقَةٌ طَيِّبَةُ القَلْبِ سامِيَةُ الرّوحِ تُدْعى باوْلينا، وَهِيَ زَوْجَةُ أنْتيغُونُوس أحَدِ أفْرادِ البَلاطِ . وَعِنْدَما سَمِعَتْ باوْلينا أنَّ المَلِكَةَ هِرْمايُوني أنْجَبَتْ طِفْلَةً ، ذَهَبَتْ إلَيْها في السِّجْنِ ، وَقالَتْ لإيميلْيا ، الَّتي كانَتْ تَقومُ عَلى خِدْمَةِ هِرْمايُوني :



« أتوَسَّلُ إلَيْكِ يا إيمِيلْيا ، أنْ تُخْبِري المَلِكَةَ الفاضِلَةَ أنَّها إذا أمِنَتْ على رَضيعَتِها مَعي فَسَأحْمِلُها إلى أبيها المَلِكِ ؛ فَرُبَّما يَرِقُّ قَلْبُهُ عِنْدَما يَرى طِفْلَتَهُ الصَّغيرَةَ .»

ردَّتْ إيميلْيا : « مَوْلاتي ! سَأُبَلِّغُ المَلِكَةَ بِعَرْضِكِ ؛ فَقَدْ كانَتْ تَتَمَنّى صَديقاً يَجْرُؤُ على تَقْديمِ الطِّفْلَةِ لِلْمَلِكِ .»

أرْدَفَتْ باوْلينا قائِلَةً : « وَأخْبِريها بِأنّي سَأُدافِعُ عَنْها بِشَجاعَةٍ أمامَ لِيُونْتيز .»

أجابَتْ إيمِيلْيا : « بارَكَ اللّهُ فيكِ لِتَعاطُفِكَ مَعَ مَلِكَتِنا الرَّقيقَةِ.»

وَذَهَبَتْ إيمِيلْيا إلى هِرْمايُوني ، الَّتي سَلَّمَتْ طِفْلَتَها فَرِحَةً إلى باوْلينا لِتَرْعاها . وَأخَذَتْ باوْلينا الطِّفْلَةَ ، وَأقْحَمَتْ نَفْسَها في مَجْلِسِ المَلِكِ – رَغْمَ مُحاوَلَةِ زَوْجِها أنْ يَمْنَعها ؛ خَوْفاً مِنْ غَضَبِ المَلِكِ – وَ وَضَعَتِ الطِّفْلَةَ عِنْدَ قَدَمَيْ أبيها ، ثُمَّ تَحدَّثَتْ إلَيْهِ بِحَديثٍ حَسَنٍ دِفاعاً عَنْ هِرْمايُوني ، وَلامَتْهُ عَلى قَسْوَتِهِ ، وَتَوَسَّلَتْ إلَيْهِ أنْ يَرْحَمَ زَوْجَتَهُ الطَّاهِرَةَ وَكَذَلِكَ طِفْلَتَهُ البَريئَةَ .

وَلَمْ تَزِدْ كَلِماتُها لِيُونْتيز إلّا غَضَباً ، فَأمَرَ زَوْجَها أنْتيغُونُوس بِأنْ يَقْتادَها بَعيداً عَنْ وَجْهِهِ . وَقَبْلَ أنْ تَنْصَرِفَ باوْلينا ، تَرَكَتِ الطِّفْلَةَ

الصَّغيرَةَ عِنْدَ قَدَمَيْ أبيها ظنًّا مِنْها أنَّهُ عِنْدَما يَنفرِدُ بِها قَدْ يَنْظُرُ إلَيْها فَتأخُذُهُ الشَّفَقَةُ بِها .

غَيْرَ أنَّ باوْلينا الطَّيِّبَةَ قَدْ خابَ ظَنُّها ، فَما إنِ ابْتَعَدَتْ حَتّى أمَرَ الأبُ القاسي أنْتيغُونُوس بِأنْ يَخْرُجَ بِالطِّفْلَةِ إلى البَحْرِ ، ثُمَّ يَتْرُكَها عَلى الشّاطِئِ في مَكانٍ مَهْجورٍ حَتّى تَموتَ .

وَلَمْ يَكُنْ أنتيغونوس طَيِّبًا مِثْلَ كاميلّو ؛ فَقَدِ انْصاعَ لأوامِرِ لِيُونْتيز انْصِياعًا تامًّا ، وَأسْرَعَ بِحَمْلِ الطِّفْلَةِ عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ ، وَأبْحَرَ بِها مُعْتَزِمًا تَرْكَها عَلى أوَّلِ ساحِلٍ مَهْجورٍ يُصادِفُهُ .

وَكانَ المَلِكُ لِيُونْتيز موقِنًا مِنْ أنَّ هِرْمايُوني آثِمَةٌ ، لِدَرَجَةِ أنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ عَوْدَةَ كليُومِينيز وَدايون مِنْ دِلْفوس . وَقَبْلَ أنْ تَسْتَعيدَ هِرْمايُوني صِحَّتَها ، أوْ تُفيقَ مِنْ صَدْمَتِها في فَقْدِ ابْنَتِها الغالِيَةِ ، سيقَتْ لِمُحاكَمَةٍ عَلَنِيَّةٍ أمامَ جَميعِ لُورْداتِ البَلاطِ وَنُبَلائِهِ . وَعِنْدَما اجْتَمَعَ عُظَماءُ اللُّورْداتِ وَالقُضاةُ لِلْحُكْمِ عَلى هِرْمايُوني البائِسَةِ ، الَّتي كانَتْ ماثِلَةً بِاعْتِبارِها سَجينَةً في انْتِظارِ الحُكْمِ ، دَخَلَ كليُومِينيز ودايون ، وَسَلَّما المَلِكَ رَدَّ الكاهِنِ . وَأصْدَرَ لِيُونْتيز أوامِرَهُ بِأنْ تُقْرَأَ كَلِماتُ الكاهِنِ عَلى المَلأ ، وَكانَتْ كالآتي :

« هِرْمايُوني بَريئَةٌ ، وَلا تَثْريبَ عَلى بُوليكْسِينيز ، وَكاميلّو خادِمٌ مُخْلِصٌ ، وَلِيُونْتيز مَلِكٌ قاسٍ شَديدُ الغَيْرَةِ ، وَسَوْفَ يَعيشُ بِلا وَريثٍ ما لَمْ يُعِدْ ما ضاعَ .»

لَمْ يُصَدِّقِ المَلِكُ كَلِماتِ الكاهِنِ ، وَادَّعى أنَّها فِرْيَةٌ مِنْ تَلْفيقِ أصْدِقاءِ المَلِكَةِ . ثُمَّ طَلَبَ إلى القاضي أنْ يَسْتَمِرَّ في المُحاكَمَةِ . وَبَيْنَما هُوَ يَتَكَلَّمُ إذْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلى القاضي ، وَأخْبَرَهُ بِأنَّ الأميرَ مامِلْيُوس ، حينَ سَمِعَ بِمُحاكَمَةِ أمِّهِ ، صُدِمَ صَدْمَةً هائِلَةً ثُمَّ ماتَ فَجْأةً كَمَدًا عَلَيْها .

وَعِنْدَما بَلَغَ سَمْعَ هِرْمايُوني خَبَرُ وَفاةِ ابْنِها المُحِبِّ حُزْنًا عَلى سوءِ حَظِّها ، سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْها . وَامْتَلأَ لِيُونْتيز نَفْسُهُ بُؤْسًا تَأثُّرًا بِالأخْبارِ السَّيِّئَةِ ، وَأخَذَتِ الشَّفَقَةُ طَريقَها إلى قَلْبِهِ ؛ فَأمَرَ باوْلينا بِأنْ تَصْحَبَ المَلِكَةَ وَتَسْهَرَ عَلَيْها حَتّى تُفيقَ . وَلَكِنْ سَرْعانَ ما عادَتْ باوْلينا لِتُخْبِرَ المَلِكَ بِوَفاةِ هِرْمايُوني .

عِنْدَما سَمِعَ لِيُونْتيز بِوَفاةِ المَلِكَةِ ، أحَسَّ بِحُزْنٍ عَميقٍ وَأسَفٍ بالِغٍ لِقَسْوَتِهِ عَلَيْها . وَلَمّا أيْقَنَ أنَّ سوءَ مُعامَلَتِهِ لَها كانَ سَبَبًا في تَحْطيمِ قَلْبِها ؛ آمَنَ بِبَراءَتِها ، وَتَأكَّدَ لَهُ صِدْقُ كَلامِ الكاهِنِ . وَأدْرَكَ مَغْزى قَوْلِهِ : إذا لَمْ يُعِدْ ما ضاعَ ( وَفَطِنَ إلى أنَّ ما ضاعَ هُوَ ابْنَتُهُ ) فَإنَّهُ سَيَبْقى بِدونِ وَريثٍ ؛ لأنَّ الأميرَ مامِلْيُوس الصَّغيرَ قَدْ

قَضى نَحْبَهُ ؛ فأعْلَنَ لِيُونْتيز على الملأ أنّهُ سوفَ يَتنازَلُ عَنْ مَمْلكَتِهِ عَنْ طيبِ خاطرٍ لِمَنْ يُعيدُ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ . وَقضى لِيُونْتيز سَنواتٍ عَديدَةً تُلازِمُهُ هذِهِ الأفْكارُ الحَزينَةُ بَيْنَ اليأسِ وَالرَّجاءِ .

وَكانَتِ السَّفينَةُ الّتي حَمَلَ عَلَيْها أنْتيغونُوس الأميرَةَ الصَّغيرَةَ قَدْ ساقَتْها الرِّياحُ إلى حَيْثُ رَسَتْ على ساحِلِ بوهيميا – مَمْلَكَةِ بُوليكْسينيز ، المَلِكِ الطَّيِّبِ – وَهُناكَ هَبَطَ أنْتيغونُوس وَتَرَكَ الطِّفْلَةَ الصَّغيرَةَ .

وَلَمْ يَرْجِعْ أنْتيغونُوس قَطُّ إلى صِقِلِّيَّةَ لِيُخْبِرَ لِيُونْتيز عَنِ المَكانِ الّذي تَرَكَ فيهِ طِفْلَتَهُ ؛ لأنَّ دُبًّا خَرَجَ مِنَ الغابَةِ فَصادَفَهُ في طَريقِهِ وَانْقَضَّ عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ إرْبًا إرْبًا .

وَكانَتِ الطِّفْلَةُ لا تَزالُ عَلى الصّورَةِ نَفْسِها الّتي تَرَكَتْها عَلَيْها هِرْمايُوني عِنْدَما أرْسَلَتْها إلى لِيُونْتيز ؛ فَكانَتْ تَرْتَدي فاخِرَ المَلابِسِ وَأثْمَنَ الحُلِيِّ . وَكانَ أنْتيغونُوس قَدْ ثَبَّتَ في مِعْطَفِها وَرَقَةً كَتَبَ فيها اسْمَ بِرْديتا ( وَهِيَ كَلِمَةٌ لاتِينِيَّةٌ تَعْني المَفْقودَةَ ) وَكَلِماتٍ تُنْبِئُ عَنْ شَرَفِ مَحْتِدِها وَحَظِّها العاثِرِ .

وَعَثَرَ راعٍ عَلى الطِّفْلَةِ المِسْكينَةِ ، وَكانَ طَيِّبَ القَلْبِ ، فَحَمَلَها وَعادَ بِها إلى بَيْتِهِ ، وَ وَضَعَها بَيْنَ يَدَيْ زَوْجَتِهِ الّتي احْتَضَنَتْها بِكُلِّ



الحُبِّ وَالحَنانِ .

كانَ الرّاعي فَقيرًا ، وَلكَيْ يُخْفِيَ أمْرَ الثَّرْوَةِ الّتي هَبَطَتْ عَلَيْهِ رَحَلَ عَنْ بَلْدَتِهِ ؛ حَتّى لا يَعْلَمَ أحَدٌ مِنْ أيْنَ جاءَهُ هذا الثَّراءُ . وَاشْتَرى بِجُزْءٍ مِنْ جَواهِرِ بِرْديتا قُطْعانًا مِنَ الأغْنامِ ، حَتّى غَدا راعِيًا ثَرِيًّا . وَقامَ بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلَةِ كَابْنَتِهِ تَمامًا ، وَنَشَأتْ هِيَ عَلى ذلِكَ ، وَلَمْ تَعْرِفْ لَها أبًا غَيْرَ الرّاعي .

وَشَبَّتْ بِرْديتا فَتاةً لَطيفَةً ، وَمَعَ كَوْنِها لَمْ تَتَلَقَّ مِنَ التَّعْليمِ ما يَزيدُ عَلى تَعْليمِ بِنْتِ راعٍ ، إلّا أنَّ آياتِ النَّعيمِ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْها بِشَكْلٍ لَمْ يُخْطِئْهُ كُلُّ مَنْ رَآها ، فَقَدْ حَسِبَ كُلُّ مَنْ لا يَعْرِفُها أنَّها نَشَأتْ وَتَرَبَّتْ في بَلاطِ مَلِكٍ .

وَلَمْ يَكُنْ لِبُوليكْسينيز غَيْرُ ابْنٍ وَحيدٍ يُدْعى فْلوريزِل . وَذاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الأميرُ الشّابُّ لِلْقَنْصِ بِالقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الرّاعي ، فَرَأى الفَتاةَ الّتي يُفْتَرَضُ فيها أنَّها ابْنَةُ الرّاعي . وَأخَذَ بِجَمالِها وَتَواضُعِها وَاحْتِشامِها وَما يَكْسوها مِنْ مَظاهِرِ النَّعيمِ ، وَ وَقَعَ في حُبِّها عَلى الفَوْرِ . وَسُرْعانَ ما أصْبَحَ زائِرًا مُسْتَديمًا لِبَيْتِ الرّاعي العَجوزِ ، مُتَخَفِّيًا في مَلابِسِ شَخْصٍ عادِيٍّ ، وَ وَراءَ سِتارِ اسْمِ دُوريكْليز . وَبَدَأ غِيابُ فْلوريزِل عَنِ البَلاطِ يُثيرُ قَلَقَ بُوليكْسينيز ، فَأخَذَ يَبْعَثُ

بِمَنْ يَتَقَصّى أحْوالَ ابْنِهِ . وَسُرعانَ ما اكْتَشَفَ حَقيقَةَ حُبِّهِ لابْنَةِ الرّاعي الجَميلَةِ .

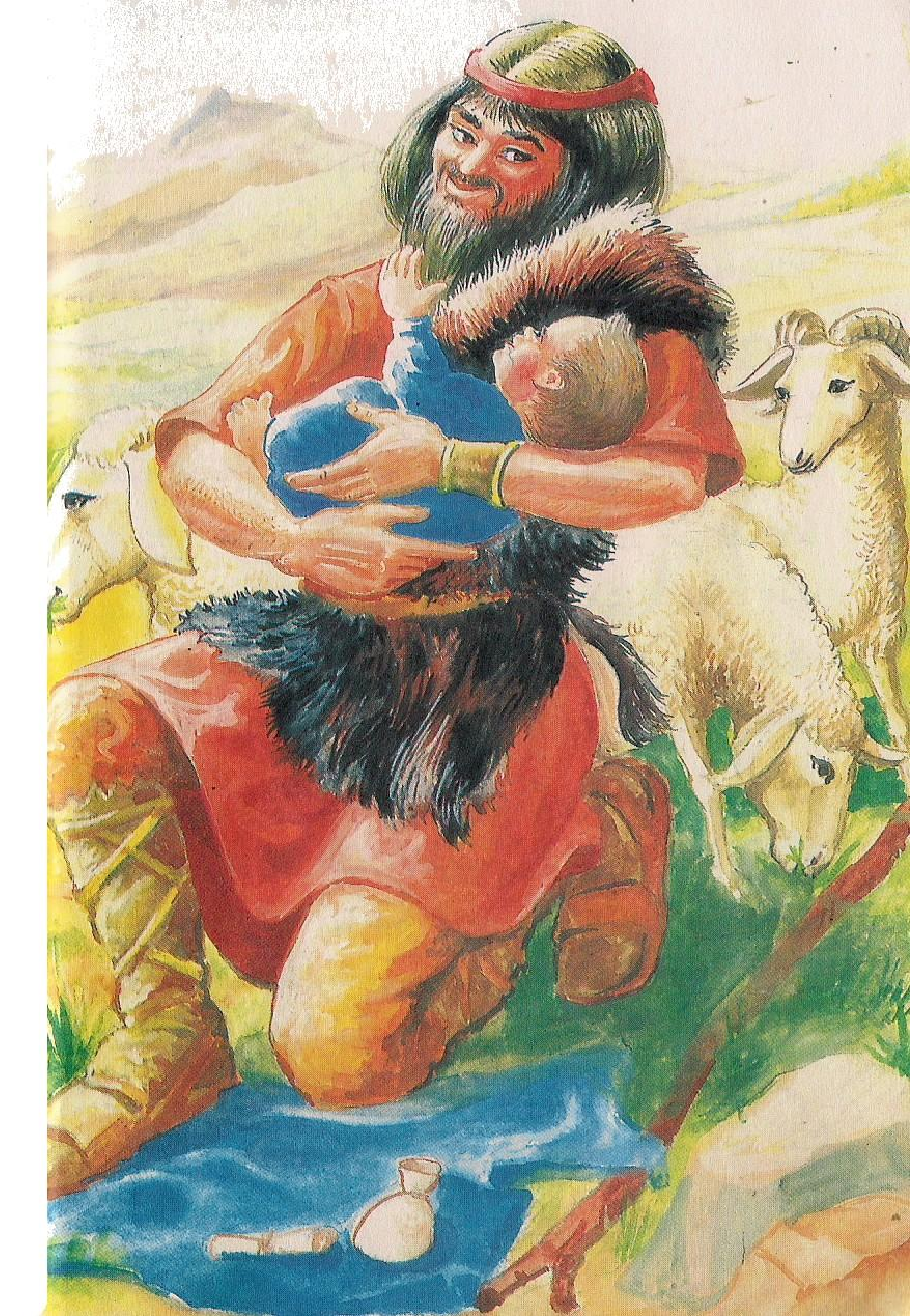
حينَئِذٍ أرْسَلَ بُوليكْسينيز في طَلَبِ كاميلّو ، ذَلِكَ الرَّجُلِ المُخْلِصِ الَّذي أنْقَذَ حَياتَهُ مِنْ بَيْنِ بَراثِنِ لِيُونْتيز ، وَأبْلَغَهُ بِرَغْبَتِهِ في اصْطِحابِهِ مَعَهُ إلى مَنْزِلِ الرّاعي .

كانَ كُلٌّ مِنْ بُوليكْسينيز وَكاميلّو قَدْ تَنَكَّرَ وَغَيَّرَ في مَظْهَرِهِ لِدَرَجَةٍ لا يُمْكِنُ مَعَها لأحَدٍ التَّعَرُّفُ عَلَيْهِما . وَ وَصَلا إلى المَنْزِلِ لَحْظَةَ بَدْءِ حَفْلٍ يُقيمُهُ الرّاعي . وَرَغْمَ أنَّهُما كانا يَبْدُوانِ غَريبَيْنِ ، فَإنَّهُما قوبِلا بِالتَّرْحابِ ، وَدُعِيا لِلدُّخولِ وَالانْضِمامِ إلى مَنْ بِالحَفْلِ. وَكانَتِ المَوائِدُ قَدْ غُصَّتْ بِمُخْتَلِفِ أنْواعِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ، وَتَمَّتْ الاسْتِعْداداتُ العَظيمَةُ لإقامَةِ هَذا الحَفْلِ ، وَطَفِقَ الشَّبابُ وَالفَتَياتُ يَرْقُصونَ عَلى الحَشائِشِ أمامَ المَنْزِلِ .

مَعَ هَذا المَشْهَدِ المَليءِ بِالحَرَكَةِ ، جَلَسَ كُلٌّ مِنْ فلوريزِل وَبِرْديتا مَعاً بِهُدوءٍ في أحَدِ الأرْكانِ ، غَيْرَ مُلْتَفِتَيْنِ لِما يَدورُ حَوْلَهُما ، وَقَدْ غَمَرَتْهُما سَعادَةٌ فاقَتْ سَعادَةَ الجَميعِ حَوْلَهُما بِاللَّعِبِ وَالتَّسْلِيَةِ .

وَاقْتَرَبَ المَلِكُ مِنْهُما – وَهُوَ يُدْرِكُ أنَّ أحَداً لا يَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ – لِيَتَسَمَّعَ ما يَدورُ بَيْنَهُما مِنْ حَديثٍ ، غَيْرَ أنَّ بَساطَةَ بِرْديتا وَلَباقَتَها في





الحَديثِ مَعَ ابْنِهِ ملكتا عَلَيْهِ لُبَّهُ ؛ فَأخَذَ يُحدِّث كاميلّو بِقَوْلِهِ : « هَذِهِ أجْمَلُ فَتاةٍ مُتَواضِعَةٍ رَأيْتُها ! إنَّ كُلَّ ما تفْعَلُ أوْ تَقولُ أكْبَرُ مِنْ سِنِّها ، بَلْ هِيَ أنْبَلُ مِنْ أنْ تَنْتَمِيَ إلى هَذا المَكانِ !»

ثُمَّ الْتَفَتَ المَلِكُ نَحْوَ الرَّاعي ، وَسَألَهُ : « أخْبِرْني يا صَديقِيَ العَزيزَ ، مَنْ ذَلِكَ الشّابُّ الَّذي يَتَحَدَّثُ إلى ابْنَتِكَ ؟»

أجابَ الرّاعي : « يَدْعونَهُ دُوريكْلِيز ، وَهُوَ – عَلى ما يَبْدو – يُحِبُّ ابْنَتي . وَلِلْحَقيقَةِ فَإنَّهُ يَصْعُبُ مَعْرِفَةُ أيُّهما أشَدُّ حُبًّا لِلآخَرِ ! وَإذا ما نَجَحَ دُوريكْلِيز في الفَوْزِ بِقَلْبِها فَسَتَجْلِبُ لَهُ ما لا يَحْلُمُ بِهِ .» ( يَقْصِدُ بِهَذا ما تَبَقّى مِنْ جَواهِرِ بِرْديتا ، تِلْكَ الَّتي كانَ قَدِ ادَّخَرَها لِيَوْمِ زِفافِها ) .

وَراحَ بُولِيكْسِينِيز يَتَحَدَّثُ إلى ابْنِهِ قائِلاً : « يا بُنَيَّ ! أرى أنَّ قَلْبَكَ قَدْ أفْعِمَ بِشَيْءٍ ما يَشُدُّكَ بَعيداً عَنِ الحَفْلِ . عِنْدَما كُنْتُ شابًّا مِثْلَكَ اعْتَدْتُ أنْ أغْدِقَ الهَدايا عَلى حِبّي وَلَكِنّي لا أراكَ قَدْ أحْضَرْتَ شَيْئًا لِفَتاتِكَ .»

أجابَ الشّابُّ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أنَّهُ يُحَدِّثُ أباهُ ، قائِلاً : « سَيِّدي الشَّيْخَ ، إنَّ قيمَةَ بِرْديتا أعَزُّ وَأغْلى عِنْدي مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الأشْياءِ الَّتي تُهْدَى ؛ وَما تَسْتَحِقُّهُ مِنّي مَكْنونٌ في قَلْبي !»



ثُمَّ تَوَجَّهَ فلوريزِل بِالحَديثِ إلى بِرْديتا ، قائِلاً : « اسْمَعيني يا بِرْديتا ، اسْمَعي ما أقولُ أمامَ هَذا الشَّيْخِ الوَقورِ ، الَّذي كانَ يَوْماً ما – عَلى ما يَبْدو – عاشِقاً .»

ثُمَّ نادى فلُوريزِل الرَّجُلَ العَجوزَ الغَريبَ لِيَكونَ شاهِداً عَلى وَعْدِهِ الصّادِقِ الَّذي قَطَعَهُ عَلى نَفْسِهِ بِالزَّواجِ بِبِرْديتا ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَما أعْلَنَ هَذا ؛ كَشَفَ المَلِكُ النِّقابَ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ لابْنِهِ ، وَأنَّبَهُ عَلى جَراءَتِه في وَعْدِهِ تِلْكَ الفَتاةَ وَضيعَةَ المَوْلِدِ بِالزَّواجِ ، وَنَعتَ بِرْديتا بِنُعوتٍ غَيْرِ لائِقَةٍ ، وَتَوَعَّدَها بِأنَّها لَوْ سَمَحَتْ لابْنِهِ بِأنْ يَراها ثانِيَةً فَسَيَكونُ مَصيرُها وَمَصيرُ أبيها الرّاعِي العَجوزِ شَرَّ مِيتَةٍ .

وَتَرَكَهُما المَلِكُ غاضِباً أشَدَّ الغَضَبِ ، وَأمَرَ كاميلّو بِأنْ يَتْبَعَهُ مَعَ الأميرِ فلُوريزِل .

وَبَعْدَ أنْ غادَرَ المَلِكُ المَكانَ قالَتْ بِرْديتا ، وَقَدِ اعْتَمَلَتْ بِداخِلِها طَبيعَتُها المَلَكِيَّةُ لِكَلِماتِ التَّجْريحِ الَّتي وَجَّهَها إلَيْها بُولِيكْسِينِيز : « رَغْمَ أنَّ آمالَنا قَدْ تَحَطَّمَتِ الآنَ فَلَمْ يَعُدْ لي ما أخْشاهُ ؛ إلّا أنّي أوْشَكْتُ أنْ أصْرُخَ في وَجْهِهِ مَرَّةً وَمَرَّةً ، قائِلَةً لَهُ بِمِلْءِ الفَمِ : إنَّ الشَّمْسَ الَّتي تُشْرِقُ عَلى قَصْرِهِ المُنيفِ لا تُشيحُ بِوَجْهِها عَنْ كوخِنا المُتَواضِعِ ، بَلْ تَمْنَحُ الجَميعَ مِنْ دِفْئِها وَضَوْئِها بِمِكْيالٍ واحِدٍ !»

وأضافَتْ آسِفَةً : « لَكِنَّني استَيقَظْتُ مِنْ هذا الحُلْمِ ! دَعْني يا سَيِّدي ، سأعودُ إلى غَنَمي لأبْكيَ وَأَبُثَّها هَمّي !»

فَعَلَ سُلوكُ بِرْديتا بِكاميلّو ، طَيِّبِ القَلْبِ ، فِعْلَ السِّحْرِ ، وَرَأى هُوَ الآخَرُ أنَّ حُبَّ الأميرِ لَها كانَ أقْوى مِنْ أنْ يَتْرُكَها لِمُجَرَّدِ أمْرٍ مِنْ أبيهِ المَلِكِ ؛ فَفَكَّرَ في طَريقَةٍ يُساعِدُهُما بِها ، وَيُنَفِّذُ ، في الوَقْتِ نَفْسِهِ ، خُطَّةً بارِعَةً خَطَرَتْ لَهُ .

كانَ كاميلّو يَعْلَمُ مُنْذُ وَقْتٍ بَعيدٍ أنَّ لِيُونْتيز مَلِكَ صِقِلِّيَّة ، كانَ نادِمًا بِحَقٍّ عَلى كُلِّ ما فَعَلَ ، وَرَغْمَ أنَّ كاميلّو كانَ لِلْمَلِكِ بُوليكْسينيز الصَّديقَ وَالمُقَرَّبَ ، فَقَدْ عَجَزَ عَنْ مُدافَعَةِ رَغْبَتِهِ في رُؤْيَةِ سَيِّدِهِ القَديمِ ، وَالحَنينِ إلى مَوْطِنِهِ الأصْلِيِّ مَرَّةً أخْرى . وَمِنْ ثَمَّ أوْعَزَ إلى فلُوريزل وَبِرْديتا أنْ يَصْحَباهُ إلى البَلاطِ الصِّقِلِّيِّ ؛ حَيْثُ يَضْمَنُ لَهُما حِمايَةَ لِيُونْتيز حَتّى يَحْصُلا ، بِمُساعَدَتِهِ ، عَلى عَفْوِ بُوليكْسينيز وَمُبارَكَتِهِ لِزَواجِهِما .

وَ وافَقا الاثْنانِ مَسْرورَيْنِ عَلى هَذا الاقْتِراحِ ، كُلَّ السُّرورِ ، وَسَمَحَ كاميلّو لِلرّاعي العَجوزِ بِمُرافَقَتِهِما .

أخَذَ الرّاعي مَعَهُ ما تَبَقّى مِنْ جَواهِرِ بِرْديتا ، وَمَلابِسِها الصَّغيرَةِ ، كَما لَمْ يَنْسَ الوَرَقَةَ الَّتي كانَتْ مُثَبَّتَةً في مِعْطَفِها .



بَعْدَ رِحْلَةٍ ناجِحَةٍ وَصَلَ فلُوريزل وَبِرْديتا وَكاميلّو وَالرّاعي العَجوزُ بِسَلامٍ إلى بَلاطِ لِيُونْتيز . وَخَرَجَ المَلِكُ ، الَّذي كانَ لا يَزالُ حَزينًا عَلى وَفاةِ زَوْجَتِهِ هِرْمايُوني وَفَقْدِ طِفْلَتِهِ ، لاسْتِقْبالِ كاميلّو بِوُدٍّ بالِغٍ . وَرَحَّبَ بِالأميرِ فلُوريزل تَرْحيبًا صادِقًا مِنَ القَلْبِ ، ثُمَّ جاءَ الدَّوْرُ عَلى بِرْديتا الَّتي قَدَّمَها فلُوريزل عَلى أنَّها أميرَتُهُ الَّتي اسْتَلَبَتْ لُبَّهُ . وَرَأى المَلِكُ أنَّها تُشْبِهُ – إلى حَدٍّ بَعيدٍ – زَوْجَتَهُ المَلِكَةَ هِرْمايُوني ، وَعَقَّبَ قائِلاً إنَّ ابْنَتَهُ لَوْ لَمْ يَقْضِ عَلَيْها بِغَيْرَتِهِ الشَّديدَةِ ، لَكانَتْ أشْبَهَ مَخْلوقٍ بِهَذِهِ الفَتاةِ الجَميلَةِ .

وَقالَ مُخاطِبًا فلُوريزل : « لَقَدْ فَقَدْتُ عِشْرَةَ وَصَداقَةَ أبيكَ ، الَّذي أتَمَنّى رُؤْيَتَهُ ثانِيَةً أكْثَرَ مِنْ رَغْبَتي في حَياتي .»

وَعِنْدَما سَمِعَ الرّاعي العَجوزُ ما قالَهُ المَلِكُ مِنْ تَعْليقاتٍ عَلى بِرْديتا ، وَبِأنَّهُ فَقَدَ ابْنَةً لَهُ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَعْدُ طِفْلَةً ، بَدَأَ يُقارِنُ بَيْنَ الوَقْتِ الَّذي عَثَرَ فيهِ عَلى بِرْديتا الصَّغيرَةِ وَالطَّريقَةِ الَّتي تُرِكَتْ بِها لِتَموتَ ، وَالجَواهِرِ وَالأماراتِ الأخْرى الَّتي تَدُلُّ عَلى شَرَفِ مَحْتِدِها . وَخَلَصَ مِنْ هَذا كُلِّهِ إلى أنَّ بِرْديتا وَابْنَةَ المَلِكِ المَفْقودَةَ شَخْصٌ واحِدٌ .

وَكانَ حاضِرًا كُلٌّ مِنْ فلُوريزل وَبِرْديتا وَكاميلّو وَباوْلينا المُخْلِصَة ،

عِنْدَما حكى الرّاعي العجوزُ لِلْمَلكِ عَنْ كَيْفيَّةِ عُثورِهِ عَلى الطِّفْلَةِ ، وَكَيْفَ رَأى بِنَفْسِهِ أَنْتيغُونُوس وَهُوَ يُقْتَلُ . ثُمَّ أخْرَجَ المِعْطَفَ الثَّمينَ الَّذي لَمْ تَكَدْ تَراهُ باوْلينا حَتّى تَعَرَّفَتْ عَلَيْهِ ، وَتَذَكَّرَتْ أَنَّ المَلِكَةَ هِرْمايُوني كانَتْ قَدْ لَفَّتْ بِهِ الطِّفْلَةَ . كَما أخْرَجَ قِطْعَةً مِنَ الجَواهِرِ تَذَكَّرَتْ باوْلينا أَنَّ هِرْمايُوني كانَتْ قَدْ رَبَطَتْها حَوْلَ رَقَبَةِ الطِّفْلَةِ . وَأخيراً أخْرَجَ الوَرَقَةَ الَّتي تَحَقَّقَتْ باوْلينا أَنَّ ماكُتِبَ عَلَيْها كانَ بِخَطِّ زَوْجِها . وَلَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ شَكٌّ في أَنَّ بِرْديتا هِيَ ابْنَةُ لِيُونْتيز .

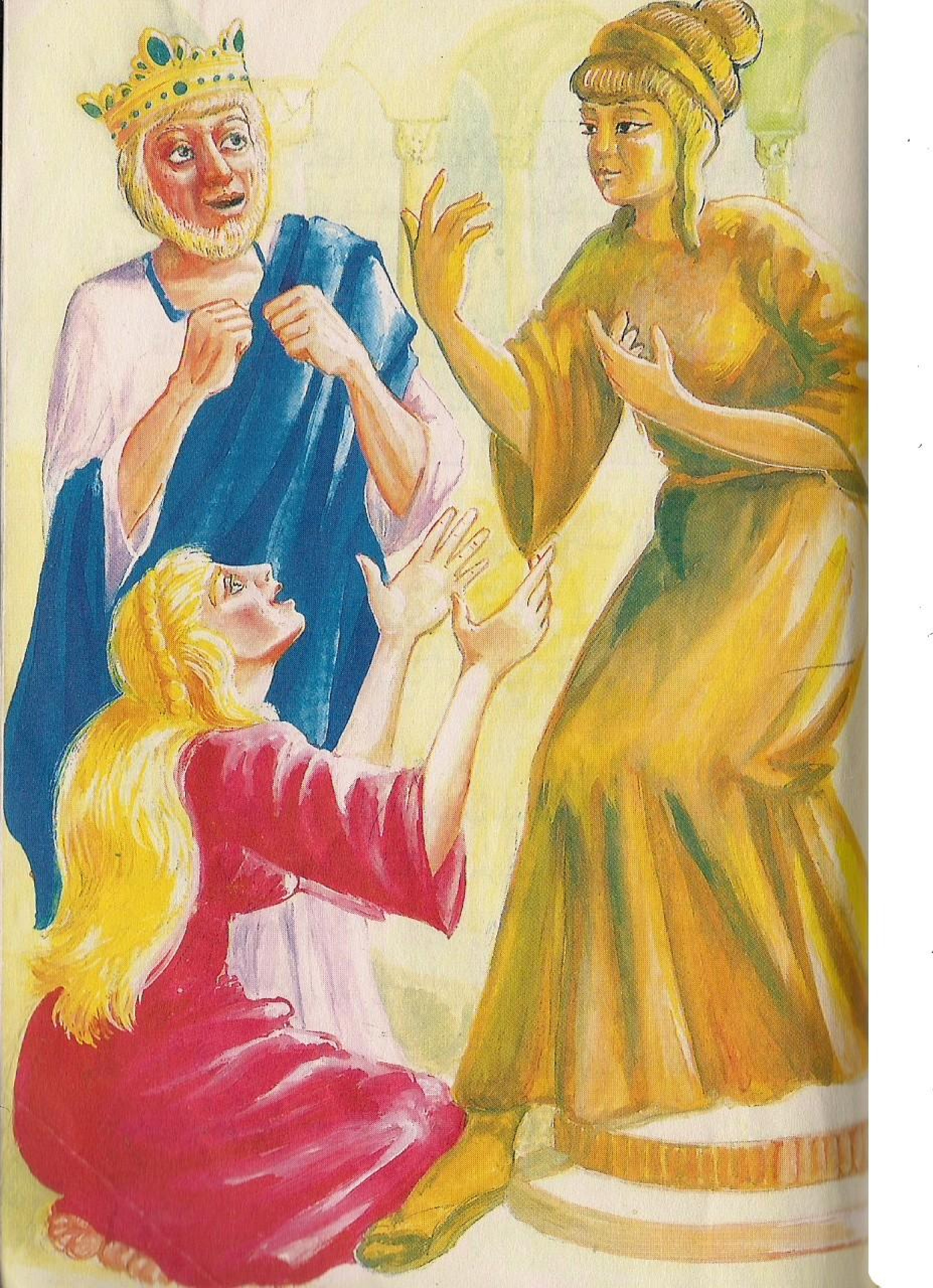
عِنْدَما عَلِمَتْ باوْلينا بِهذا تَنازَعَ الحُزْنُ وَالفَرَحُ قَلْبَها ؛ الحُزْنُ عَلى فَقْدِ زَوْجِها ، وَالفَرَحُ بِعَوْدَةِ ابْنَةِ المَلِكِ المَفْقودَةِ . وَعِنْدَما أَدْرَكَ لِيُونْتيز أَنَّ بِرْديتا ابْنَتُهُ ؛ أَلْجَمَ الحُزْنُ العَميقُ عَلى هِرْمايُوني لِسانَهُ عَنْ أَنْ يَقولَ لَها شَيْئاً سِوى : « أُمُّكِ ! أُمُّكِ ! »

وَعِنْدَما أَخْبَرَتْ باوْلينا لِيُونْتيز أَنَّ لَدَيْها تِمْثالاً لِهِرْمايُوني يُشْبِهُها تَماماً لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَوْ نُظِرَ إِلَيْهِ لَظُنَّ أَنَّهُ هِرْمايُوني نَفْسُها ، ذَهَبَ المَلِكُ إِلى بَيْتِ باوْلينا ، وَذَهَبَ مَعَهُ الجَميعُ . وَكانَ المَلِكُ مُتَلَهِّفاً لِرُؤْيَةِ تِمْثالِ زَوْجَتِهِ ، كَما كانَتْ بِرْديتا مُشْتاقَةً إِلى أَنْ تَعَرِفَ عَلى أَيِّ صورَةٍ كانَتْ أُمُّها .

وَعِنْدَما أَزاحَتْ باوْلينا السِّتارَ عَنْ هذا التِّمْثالِ ، ظَهَرَ أَشَدَّ ما







يكونُ شبَهاً بِهِرْمايُوني ، لِدَرجَةِ أنَّ أحزانَ المَلِكِ قَدْ عاوَدَتْهُ وَتجسَّدَتْ أمامَهُ . وَظَلَّ المَلِكُ مَشْدوهاً – وَلِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ – لا يَسْتَطيعُ الكَلامَ أوِ الحَراكَ .

قالَتْ باوْلينا لِلْمَلِكِ : « سَيِّدي ، إنّي أعَظِّمُ فيكَ صَمْتَكَ ؛ لأنَّهُ يُفسِّرُ تَعَجُّبَكَ الزّائِدَ . أ لا يُشْبِهُ هَذا التِّمْثالُ زَوْجَتَكَ المَلِكَةَ كُلَّ الشَّبَهِ ؟ »

وَبَعْدَ لأيٍ قالَ المَلِكُ : « هَكَذا كانَتْ تَجْلِسُ عِنْدَما رَأيْتُها أوَّلَ مَرَّةٍ وَأحْبَبْتُها . وَلَكِنْ بِاللّهِ عَلَيْكِ يا باوْلينا ، هَلْ كانَتْ هِرْمايُوني عَجوزاً إلى هَذا الحَدِّ كَما يَبْدو عَلى هَذا التِّمْثالِ ؟ »

أجابَتْ باوْلينا بِسُرْعَةٍ : « إنَّها بَراعَةُ الصّانِعِ الَّذي تَمَثَّلَ صورَةَ هِرْمايُوني وَكَأنَّها باقِيَةٌ لِلآنَ ، فَلْتَدَعْني أسْدِلُ السِّتارَ يا مَوْلايَ ؛ حَتّى لا يَتَراءى لَكَ أنَّهُ يَتَحَرَّكُ . »

قالَ المَلِكُ : « لا تُسْدِلي السِّتارَ . لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هَذا ! أُنْظُرْ يا كاميلّو ، أ لَمْ تَرَ مَعي أنَّهُ كانَ يَتَنَفَّسُ وَأنَّ عَيْنَيْهِ تَتَحَرَّكانِ ؟ »

قالَتْ باوْلينا : « يَجِبُ أنْ أسْدِلَ السِّتارَ يا مَوْلايَ ؛ حَتّى لا تُقْنِعَ نَفْسَكَ بِأنَّ التِّمْثالَ حَيٌّ . »

قالَ لِيونْتِيز : « أَيَّتُها الجَميلَةُ باوْلينا ، دَعيني أَعِشْ بِخَيالِ عِشْرينَ عاماً خَلَتْ . أيُّ آلَةٍ تَسْتَطيعُ أنْ تَنحِتَ تِمْثالاً يَتَنفَّسُ ؟ لا تَدَعي أحَداً يَسْخَرُ مِنّي لأنّي سأُقَبِّلُها !»

قالَتْ باوْلينا : « عَلى رِسْلِكَ يا مَوْلايَ ؛ إنَّ اللَّوْنَ الأَحْمَرَ الَّذي عَلى شَفَتَيْها لا يَزالُ رَطْباً ، وَسَوْفَ تُلَطِّخُ شَفَتَيْكَ بِهَذا الطِّلاءِ الزَّيْتِيِّ . هَلْ تَأذَنُ لي بِإسْدالِ السِّتارِ ؟»

رَدَّ لِيُونْتِيز : « لا ، مِنْ أَجْلِ عِشْرينَ سَنَةً خَلَتْ !»

كُلُّ هَذا كانَ يَجْري وَبِرْديتا جاثِيَةٌ تَنْظُرُ إلى تِمْثالِ أُمِّها بِإعْجابٍ صامِتٍ ، ثُمَّ قالَتْ : « أَوَدُّ أنْ أَظَلَّ هَهُنا وَقْتاً طَويلاً أَنْظُرُ إلى تِمْثالِ أُمِّيَ العَزيزَةِ .»

قالَتْ باوْلينا لِلِيُونْتِيز : « إنْ لَمْ تَدَعْني أُسْدِلُ السِّتارَ ، فَإلَيْكَ مَزيداً مِنَ العَجائِبِ ؛ إذْ بِإمْكاني تَحْريكُ يَدِ التِّمْثالِ وَهُوَ واقِفٌ في مَكانِهِ حَتّى يَأْخُذَ بِيَدِكَ ، وَعِنْدَئِذٍ سَتَعْتَقِدُ أنَّ وَرائي بَعْضَ القُوى الغَريبَةِ ، وَما أَبْعَدَني عَنْ ذَلِكَ !»

قالَ لِيُونْتِيز : « يُرْضيني أنْ أَسْمَعَ ما يُمْكِنُكِ أنْ تَصْنَعيهِ مَعَها ؛ إذْ مِنَ السَّهْلِ أنْ تَجْعَليها تَتَكَلَّمُ وَتَتَحَرَّكُ .»



وَعِنْدَئِذٍ أَمَرَتْ باوْلينا بِعَزْفِ موسيقى هادِئَةٍ وَئِيدَةٍ . وَ وَسْطَ دَهْشَةِ الجَميعِ بَدَأَ التِّمْثالُ يَتَحَرَّكُ وَيَنْزِلُ عَنْ مَكانِهِ ثُمَّ وَضَعَ ذِراعَيْهِ حَوْلَ رَقَبَةِ لِيُونْتِيز ، وَأَخَذَ في الكَلامِ داعِياً اللَّهَ أنْ يُحِلَّ بَرَكَتَهُ عَلى المَلِكِ ، وَعَلى الابْنَةِ بِرْديتا ، الَّتي عُثِرَ عَلَيْها أخيراً .

لَمْ يَكُنِ الأَمْرُ مُسْتَغْرَباً ؛ لأَنَّ التِّمْثالَ الَّذي طَوَّقَ بِذِراعَيْهِ رَقَبَةَ لِيُونْتِيز ، وَدَعا لِلْمَلِكِ وَالطِّفْلَةِ كانَ هِرْمايُوني نَفْسَها ، المَلِكَةَ الحَقيقيَّةَ بِشَحْمِها وَلَحْمِها !

كانَتْ باوْلينا قَدْ زَيَّفَتِ الحَقيقَةَ حينَما أَخْبَرَتِ المَلِكَ بِوَفاةِ زَوْجَتِهِ ؛ اعْتِقاداً مِنْها بِأَنَّ تِلْكَ هِيَ الوَسيلَةُ الوَحيدَةُ لإنْقاذِ حَياتِها . وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ وَهِرْمايُوني تَعيشُ إلى جِوارِ باوْلينا الطَّيِّبَةِ . وَلَمْ تُرِدْ طَوالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ أنْ يَعْرِفَ المَلِكُ أنَّها عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، حَتّى سَمِعَتْ بِخَبَرِ العُثورِ عَلى ابْنَتِها بِرْديتا . وَرَغْمَ أنَّها صَفَحَتْ عَنْ لِيُونْتِيز فيما ارْتَكَبَهُ في حَقِّها ، إلّا أنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَغْفِرَ لَهُ قَسْوَتَهُ عَلى ابْنَتِهِ الطِّفْلَةِ البَريئَةِ .

وَبِعَوْدَةِ المَلِكَةِ المَيِّتَةِ لِلْحَياةِ ، وَالعُثورِ عَلى الطِّفْلَةِ المَفْقودَةِ ، لَمْ يَسَعْ لِيُونْتِيز أنْ يَتَحَمَّلَ هَذِهِ السَّعادَةَ الغامِرَةَ .

وَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَتَرَدَّدْ عَلى الأَسْماعِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ غَيْرُ

التَّهاني وَأحْلى الكَلِماتِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ الأبَوانِ السَّعيدانِ إلى فلوريزل يَشْكُرانِهِ عَلى تَوَدُّدِهِ إلى ابْنَتِهِما عِنْدَما بَدَتْ لِلْجَميعِ مُتَواضِعَةَ المَنْبِتِ ، وَشَكَرا لِلرّاعي العَجوزِ الطَّيِّبِ حُسْنَ رِعايَتِهِ لِطِفْلَتِهِما . أمّا كاميلّو وباوْلينا فَقَدْ سَرَّهُما كُلَّ السُّرورِ تِلْكَ النِّهايَةُ السَّعيدَةُ الَّتي تَوَّجَتْ خِدْمَتَهُما لِلْمَلِكِ ، وَقَدْ قَضَياها في تَفانٍ وَإخْلاصٍ .

وَمِمّا زادَ مِنْ دَواعي الفَرَحِ الغَريبِ غَيْرِ المُتَوَقَّعِ أنْ يَدْخُلَ المَلِكُ بُوليكْسينيز القَصْرَ . فَعِنْدَما فَقَدَ بُوليكْسينيز ابْنَهُ وَمَعَهُ كاميلّو أدْرَكَ لِلْوَهْلَةِ الأولى أنَّ كاميلّو قَدْ عادَ إلى صِقِلِّيَّة ، فَانْطَلَقَ إلى هُناكَ بِسُرْعَةٍ لِيَشْهَدَ – عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ – أسْعَدَ لَحْظَةٍ في حَياةِ لِيُونْتيز .

وَانْضَمَّ بُوليكْسينيز لِلْحَفْلِ العامِّ لِيُشارِكَ النّاسَ أفْراحَهُمْ ، وَقَدْ غَفَرَ لِصَديقِهِ لِيُونْتيز غَيْرَتَهُ المُجْحِفَةَ . وَعادَتْ مَحَبَّتُهُما لِبَعْضِهِما بَعْضاً ثانِيَةً بِنَفْسِ قُوَّةِ صَداقَتِهِما الأولى . وَهُوَ الآنَ مُسْتَعِدٌّ تَماماً ، بِالطَّبْعِ ، لِلْمُوافَقَةِ عَلى زَواجِ ابْنِهِ بِبِرْديتا مَلِكَةِ صِقِلِّيَّةَ المُقْبِلَةِ .

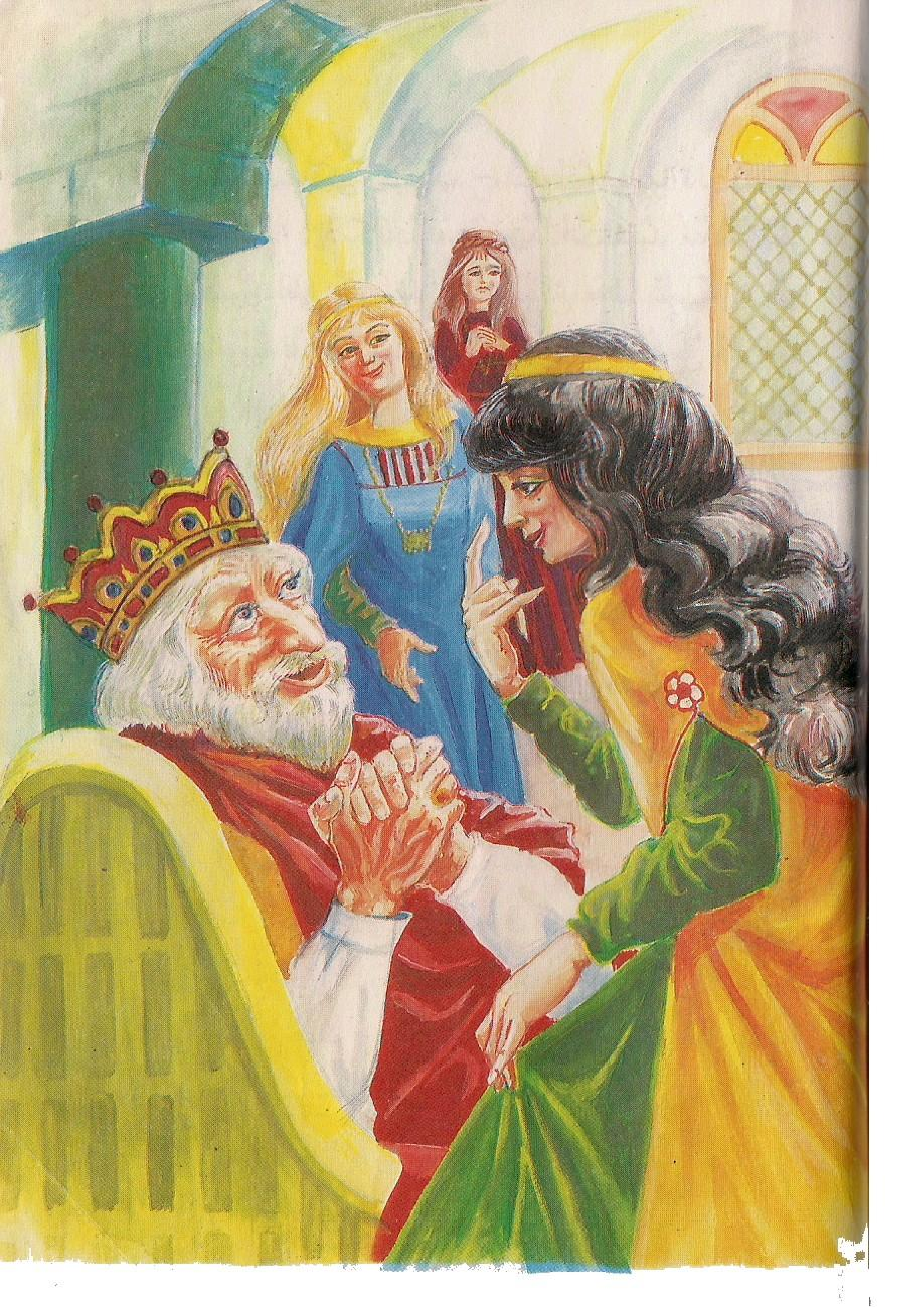
وَهَكَذا انْتَهَتِ المُعاناةُ الَّتي قاسَتْها وَتَحَمَّلَتْها هِرْمايُوني طَويلاً . وَعاشَتِ السَّيِّدَةُ الفاضِلَةُ عُمْراً مَديداً مَعَ زَوْجِها لِيُونْتيز وَابْنَتِها بِرْديتا كَأسْعَدِ أمٍّ وَأهْنأِ مَلِكَةٍ .



## المَلِكُ لير

كانَ لِلْمَلِكِ لير ، مَلِكِ بِريطانيا ، ثَلاثُ بَناتٍ : غُونيريل ، زَوْجَةُ دوق ألبانيا ، وَريغان ، زَوْجَةُ دوق كُورنْوول ، وَكُورْديلْيا الابْنَةُ الصُّغْرى . وَكانَ كُلٌّ مِنْ مَلِكِ فَرَنْسا وَدوق بِرْغَنْدي يَرْغَبُ في أنْ يَتَزَوَّجَ كُورْديلْيا . وَكانا يُقيمانِ – وَقْتَ حُدوثِ هَذِهِ القِصَّةِ – في قَصْرِ المَلِكِ لير .

أحَسَّ المَلِكُ العَجوزُ ، الَّذي يَزيدُ عُمْرُهُ عَلى الثَّمانينَ ، أنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً ، فَقَرَّرَ أنْ يَسْتَريحَ مِنْ حُكْمِ المَمْلَكَةِ ، وَيَتْرُكَ حُكْمَها لِمَنْ هُوَ دونَهُ سِنّاً ؛ لِذَلِكَ فَقَدِ اسْتَدْعى بَناتِهِ الثَّلاثَ لِيَعْرِفَ مِمّا تَنْطِقُ بِهِ شِفاهُهُنَّ أيُّهُنَّ أكْثَرُ حُبّاً لَهُ ، فَيَقْسِمَ بَيْنَهُنَّ المَمْلَكَةَ وَفْقاً لِمِقْدارِ حُبِّهِنَّ لَهُ .



صَرَّحَتْ غُونيرِيل الابْنَةُ الكُبْرى بِأَنَّها تُحِبُّ أباها أكْثَرَ مِمّا يُمْكِنُ أنْ تُفْصِحَ عَنْهُ الكَلِماتُ ، وَبِأَنَّهُ أعَزُّ عَلَيْها مِنْ نورِ عَيْنَيْها ، وَأغْلى عِنْدَها مِنَ الحَياةِ وَالحُرِّيَّةِ .

لا شَيْءَ أسْهَلُ مِنْ مِثْلِ هَذا الكَلامِ المَعْسولِ عِنْدَما يَنْعَدِمُ الحُبُّ الحَقيقِيُّ . غَيْرَ أنَّ المَلِكَ كانَ مَسْروراً لِسَماعِهِ هَذا ، ظَنًّا مِنْهُ أنَّهُ صادِرٌ مِنْ صَميمِ قَلْبِها ، وَمَنَحَها وَزَوْجَها ثُلْثَ مَمْلَكَتِهِ .

أمّا رِيغان ، ابْنَتُهُ الثّانِيَةُ ، الّتي كانَتْ كَأُخْتِها كاذِبَةً ، فَقَدْ صَرَّحَتْ بِأنَّ ما تَكَلَّمَتْ بِهِ أخْتُها يَعْجِزُ عَنْ أنْ يُعَبِّرَ عَمّا يَجيشُ بِهِ صَدْرُها مِنْ حُبٍّ لأبيها ، وَأنَّها تَجِدُ أسْبابَ السَّعادَةِ جَميعَها تَذوبُ وَتَتَلاشى أمامَ سَعادَتِها بِحُبِّها أباها المَلِكَ الغالِيَ .

حَمِدَ لِير اللّهَ على إنْعامِهِ عَلَيْهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ ، كَما تَوَهَّمَ ، وَمَنَحَ رِيغان وَزَوْجَها ثُلْثاً آخَرَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ يَتَساوى مَعَ ما أعْطاهُ غُونيرِيل .

ثُمَّ الْتَفَتَ إلى ابْنَتِهِ الصُّغْرى كُورْدِيلْيا ، الّتي كانَ يَدْعوها بَهْجَةَ حَياتِهِ ، وَطَلَبَ إلَيْها أنْ تَبُثَّهُ ما عِنْدَها . وَلَمْ يَكُنْ لِيَشُكَّ لَحْظَةً في أنَّها سَتُشَنِّفُ أسْماعَهُ بِمَعْسولِ الكَلامِ كَأُخْتَيْها ، أوْ أنَّ كَلامَها سَيَكونُ أشَدَّ عاطِفَةً مِنْ كَلامِهِما ؛ وَذَلِكَ لأنَّها كانَتِ

الأثيرَةَ إلى قَلْبِهِ . وَلكِنَّ كُورْدِيلْيا - الَّتي أخْجَلَها ما قالَتْ أخْتاها مِنْ كَلامٍ زائِفٍ ؛ إذْ كانَتْ تَعْرِفُ جيِّداً أنَّ القَصْدَ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ سِوى الحُصولِ عَلى نَصيبِهِما مِنَ المَمْلَكَةِ - لَمْ تُجِبْ إلّا بِأنَّها تُحِبُّ أباها وَفْقاً لِما يُمْليهِ الواجِبُ عَلَيْها ، لا أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أقَلَّ .

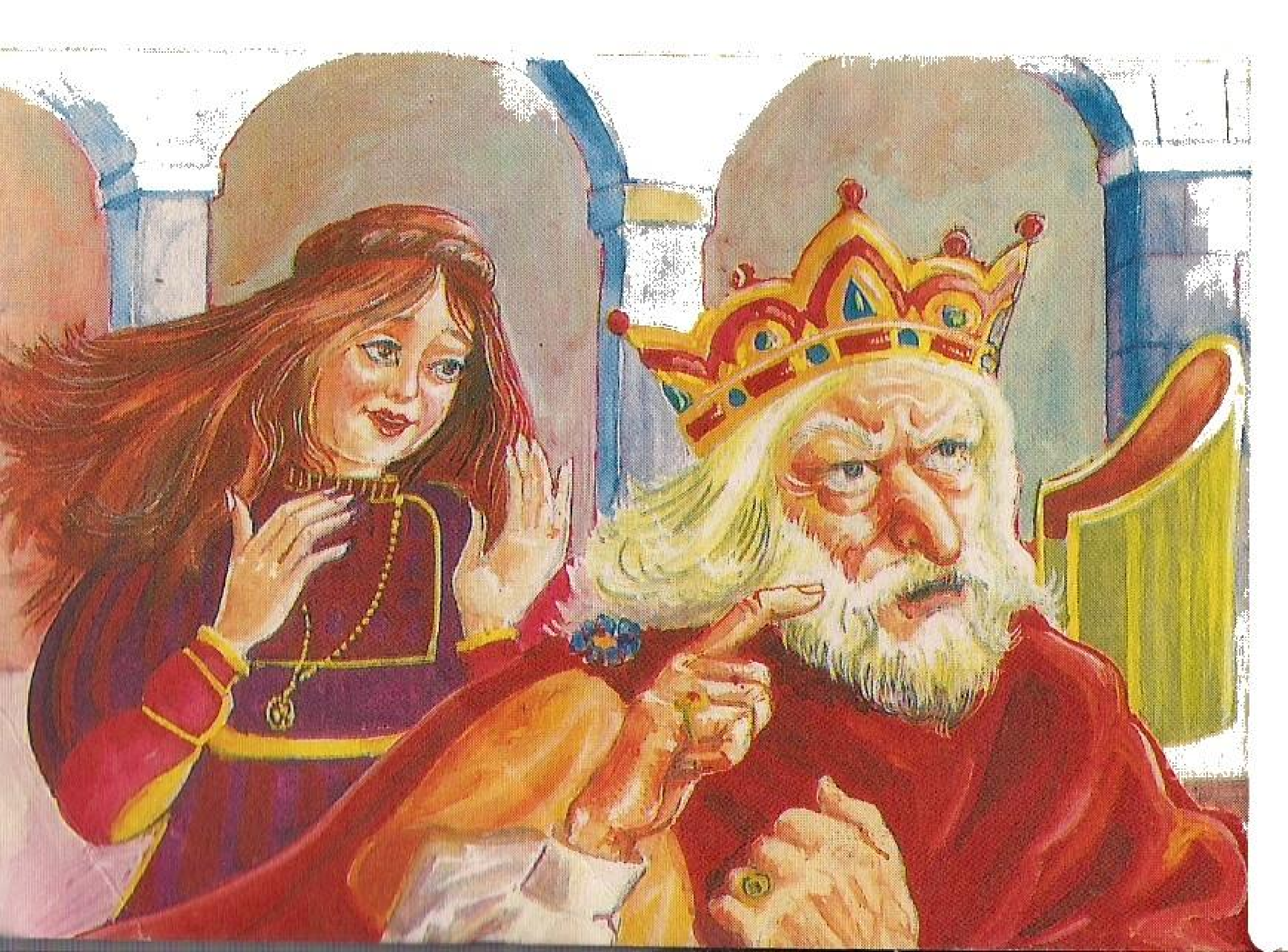
وَصُدِمَ المَلِكُ عِنْدَما سَمِعَ تِلْكَ الكَلِماتِ البَسيطَةَ مِنِ ابْنَتِهِ المُقَرَّبَةِ إلى قَلْبِهِ ، وَطَلَبَ إلَيْها أنْ تُراجِعَ نَفْسَها وَتُصَحِّحَ ألْفاظَها ، حَتّى لا تُحْرَمَ حَظَّها مِنَ الثَّرْوَةِ .

وَأخْبَرَتْ كُورْدِيلْيا المَلِكَ بِأنَّهُ أبوها الَّذي رَبّاها وَأحَبَّها ، وَبِأنَّها تَرُدُّ لَهُ ما عَلَيْها مِنْ واجِبٍ وَحُبٍّ وَطاعَةٍ وَإجْلالٍ ، وَلكِنَّها لا تَقْدِرُ عَلى صِناعَةِ الكَلامِ المَعْسولِ مِثْلَما فَعَلَتْ أخْتاها ، أوْ أنْ تَعِدَ بِألا تُحِبَّ أحَداً آخَرَ في الدُّنْيا . وَتَساءَلَتْ لِماذا تَزَوَّجَتْ أخْتاها إذا كانَتا لا تُكِنّانِ حُبّاً لأيِّ فَرْدٍ في الدُّنْيا سِوى أبيهِما ؟ وَقالَتْ إنَّها لَوْ تَزَوَّجَتْ فَهِيَ موقِنَةٌ مِنْ أنَّ زَوْجَها سَيُريدُ - عَلى الأقَلِّ - نِصْفَ حُبِّها إلى جانِبِ نِصْفِ رِعايَتِها وَنِصْفِ ما عَلَيْها مِنَ الواجِباتِ ؛ وَلِذَلِكَ فَهِيَ لَنْ تَتَزَوَّجَ كَأخْتَيْها ، كَيْ يَظَلَّ حُبُّها لأبيها أكْبَرَ مِنْ حُبِّها لأحَدٍ آخَرَ .



كانَتْ كُورْدِيلْيا صادِقَةً في حُبِّها لأبيها بِالقَدْرِ نَفْسِهِ الَّذي ادَّعَتْهُ أخْتاها ، وَأرادَتْ أنْ تُفْصِحَ عَنْ هَذا بِكَلامِ الابْنَةِ المُتَوَدِّدَةِ إلى أبيها ، غَيْرَ أنَّها عِنْدَما رَأتْ أنَّ الكَلِماتِ الخادِعَةَ الَّتي قالَتْها أخْتاها قَدْ فازَتْ بِتِلْكَ الجَوائِزِ الغالِيَةِ ، رَأتْ أنَّ أفْضَلَ ما يُمْكِنُ أنْ تَفْعَلَهُ هُوَ أنْ تُحِبَّ في صَمْتٍ . وَلَقَدْ دَلَّ هَذا الأسْلوبُ عَلى أنَّها أحَبَّتْهُ ، وَلكِنْ لا لِمُقابِلٍ تَحْصُلُ عَلَيْهِ ، وَأنَّ كَلِماتِها - رَغْمَ بَساطَتِها - كانَتْ أصْدَقَ مِنْ كَلِماتِ أخْتَيْها .

وَلكِنَّ تَقَدُّمَ العُمْرِ هُوَ الَّذي أدّى إلى حَماقَةِ لِير لِدَرَجَةٍ جَعَلَتْهُ لا يُمَيِّزُ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَلا الكَلامَ المُنَمَّقَ الزّائِفَ مِنَ الكَلامِ



الصّادقِ الصّادرِ مِنَ القَلْبِ . فَغَضِبَ مِنْ صَراحَةِ كُورْدِيلْيا ، وَاعْتَبَرَها ازْدِراءً لَهُ وَتَعالِياً عَلَيْهِ ، وَمَنَعَ عَنْها جُزْءَ المَمْلَكَةِ الثّالِثَ ، الَّذي كانَ قَدْ خَصَّصَهُ لَها ، وَقَسَّمَهُ بَيْنَ أُخْتَيْها وَزَوْجَيْهِما دوق أَلْبانيا وَدوق كُورنوول ، وَدَعاهُما إِلَيْهِ . وَفي حُضورِ الجَميعِ تَنازَلَ لَهُما عَنْ تاجِهِ وَجَميعِ سُلْطاتِهِ في الحُكْمِ ، وَاحْتَفَظَ لِنَفْسِهِ بِلَقَبِ المَلِكِ . وَتَمَّ الاتِّفاقُ عَلى أَنْ يَقْضِيَ المَلِكُ وَمِئَةٌ مِنَ الفُرْسانِ يَخْدُمونَهُ ، شَهْراً في قَصْرِ إِحْدى ابْنَتَيْهِ ، وَشَهْراً آخَرَ في قَصْرِ الابْنَةِ الأُخْرى بِالتَّناوُبِ .

أَدّى هَذا التَّقْسيمُ الأَحْمَقُ لِلْمَمْلَكَةِ ، وَالَّذي تَمَّ في لَحْظَةِ انْفِعالٍ جُنونِيٍّ ، بَعيداً عَنْ صَوْتِ العَقْلِ ، إِلى أَنْ يُصابَ جَميعُ النُّبَلاءِ بِالدَّهْشَةِ وَالأَسَفِ . وَلَمْ تُواتِ الشَّجاعَةُ أَحَداً لِيَتَدَخَّلَ في هَذا سِوى إِيرْل كِنْت . وَعِنْدَما بَدَأَ يَذْكُرُ كُورْدِيلْيا بِالخَيْرِ أَمَرَهُ المَلِكُ الغاضِبُ بِالتَّوَقُّفِ فَوْراً عَنِ الكَلامِ ، وَتَوَعَّدَهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، بِالحُكْمِ عَلَيْهِ بِالإِعْدامِ . وَلَمْ يَأْبَهْ إِيرْل كِنْت الطَّيِّبُ لِهَذا التَّهْديدِ ؛ لأَنَّهُ كانَ مُخْلِصاً عَلى الدَّوامِ لِلْمَلِكِ ، فَكانَ يُجِلُّهُ مَلِكاً ، وَيُحِبُّهُ كَأَبٍ، وَيَتْبَعُهُ سَيِّداً ، بَلْ إِنَّهُ كانَ مُسْتَعِدًّا لأَنْ يُضَحِّيَ بِحَياتِهِ ضِدَّ أَعْداءِ المَلِكِ ، أَوْ عِنْدَما يَتَعَرَّضُ أَمْنُهُ لِلْخَطَرِ . وَرَغْمَ أَنَّهُ أَصْبَحَ عَدُوَّ لِير اللَّدودَ إِلّا أَنَّ هَذا الخادِمَ المُخْلِصَ ما وَقَفَ أَمامَهُ إِلّا لِيُقَدِّمَ لَهُ



النَّصيحَةَ .

لَقَدْ تَوَسَّلَ إِلى المَلِكِ أَنْ يَسْمَعَ نُصْحَهُ ، كَما كانَ يَفْعَلُ – غالِباً – في الماضي ، وَأَنْ يُسْرِعَ في الرُّجوعِ إِلى إِصْلاحِ ما أَفْسَدَهُ بِتَهَوُّرِهِ . وَأَبْدى إِيرْل كِنْت اسْتِعْدادَهُ لِلْمَلِكِ لأَنْ يُقَدِّمَ حَياتَهُ ثَمَناً لِدَحْضِ رَأْيِهِ بِأَنَّ ابْنَتَهُ الصُّغْرى هِيَ أَقَلُّ بَناتِهِ حُبًّا لَهُ . وَلَمْ تَثْنِهِ عَنْ ذَلِكَ تَهْديداتُ لِير ؛ فَقَدْ أَمْضى حَياتَهُ كُلَّها في خِدْمَةِ المَلِكِ ، وَهَذا ما دَفَعَهُ لِمُحادَثَتِهِ .

غَيْرَ أَنَّ الكَلِماتِ الصّادِقَةَ الَّتي قالَها إِيرْل كِنْت الطَّيِّبُ لَمْ تَزِدِ المَلِكَ إِلّا غَضَباً وَعِناداً . وَكَما يَنْدَفِعُ المَجْنونُ ، وَيَقْتُلُ طَبيبَهُ المُعالِجَ ، انْدَفَعَ المَلِكُ ، وَأَمَرَ خادِمَهُ المُخْلِصَ بِمُغادَرَةِ البِلادِ ، في غُضونِ خَمْسَةِ أَيّامٍ فَقَطْ يَتَأَهَّبُ فيها لِلرَّحيلِ . وَتَوَعَّدَهُ بِأَنَّهُ إِذا ما انْقَضى اليَوْمُ السّادِسُ وَهُوَ داخِلَ حُدودِ المَمْلَكَةِ فَسَيَكونُ آخِرَ يَوْمٍ في حَياتِهِ .

وَهَكَذا وَدَّعَ إِيرْل كِنْت المَلِكَ ، وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ المَمْلَكَةَ صَلّى بِصِدْقٍ مِنْ أَجْلِ كُورْدِيلْيا . وَكانَ أَمَلُهُ الوَحيدُ هُوَ أَنْ يَصْدُقَ كَلامُ أُخْتَيْها المَعْسولُ وَيُطابِقَ أَفْعالَهُما . ثُمَّ غادَرَ المَمْلَكَةَ لِيُحاوِلَ أَنْ يُوائِمَ نَفْسَهُ وَالعَيْشَ في بَلَدٍ جَديدٍ .

وَتَمَّ اسْتِدْعاءُ مَلِكِ فَرَنْسا وَدوق بِرْغَنْدي لِسَماعِ ما قَرَّرَهُ لير لابْنَتِهِ الصُّغْرى ، وَلِيَرى ما إذا كانا لا يَزالانِ عَلى رَغْبَتِهِما في الزَّواجِ بِها ، وَخاصَّةً أَنَّها أَصْبَحَتْ لا تَمْلِكُ شَيْئًا تُقَدِّمُهُ سِوى نَفْسِها . وَرَفَضَ أَوَّلاً دوق بِرْغَنْدي أَنْ يَتَّخِذَها زَوْجَةً لِهَذا السَّبَبِ ، وَلَكِنَّ مَلِكَ فَرَنْسا فَهِمَ السَّبَبَ الَّذي فَقَدَتْ مِنْ أَجْلِهِ حُبَّ أَبيها ، فَقَرَّرَ الاقْتِرانَ بِها ، مُعْلِنًا أَنَّ طُهْرَها وَطيبَةَ قَلْبِها أَغْلى عِنْدَهُ مِنْ أَيِّ مُلْكٍ . ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْها أَنْ تُوَدِّعَ أُخْتَيْها وَأَباها ، رَغْمَ قَسْوَتِهِ عَلَيْها، وَأَعْلَنَ أَنَّها سَتَصْحَبُهُ لِتَكونَ مَلِكَةً مُتَوَّجَةً عَلى رَأْسِ مَمْلَكَةٍ أَعْدَلَ مِنْ مَمْلَكَةِ أُخْتَيْها .

وَ وَدَّعَتْ كُورْدِيلْيا أُخْتَيْها بِعَيْنَيْنِ دامِعَتَيْنِ ، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِما أَنْ تَكونا صادِقَتَيْنِ في حُبِّ أَبيهِما ؛ فَأَخْبَراها بِأَنَّهُما تَعْرِفانِ وَاجِبَيْهِما تَمامًا ، وَنَصَحاها بِأَنْ تَعْمَلَ عَلى إِسْعادِ زَوْجِها اعْتِرافًا بِجَميلِهِ عَلَيْها ؛ إِذْ تَزَوَّجَها وَهِيَ صِفْرُ اليَدَيْنِ . وَغادَرَتْ كُورْدِيلْيا المَمْلَكَةَ بِقَلْبٍ مَهْمومٍ لِيَقينِها مِنْ خِداعِ أُخْتَيْها ، وَتَمَنَّتْ أَنْ لَوْ كانَ في رِعايَةِ مَنْ هُوَ أَصْدَقُ مِنْهُما .

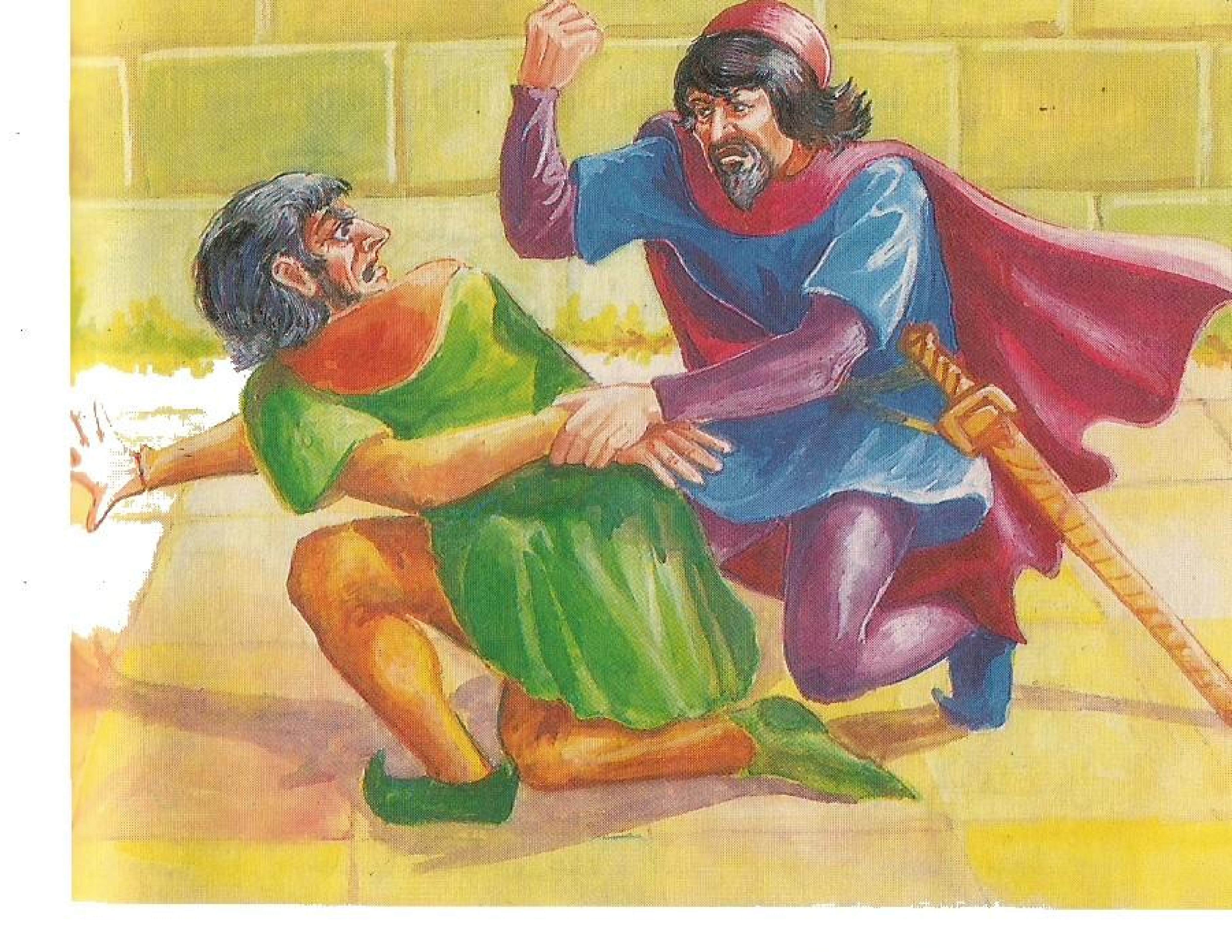
وَما إِنْ غادَرَتْ كُورْدِيلْيا المَمْلَكَةَ حَتّى كَشَفَتْ أُخْتاها القِناعَ عَنْ شَخْصِيَّتَيْهِما الحَقيقِيَّتَيْنِ ؛ فَقَبْلَ انْقِضاءِ الشَّهْرِ الأَوَّلِ لِلْمَلِكِ لير عِنْدَ ابْنَتِهِ الكُبْرى غونيريل ، بَدَأَ يَكْتَشِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الوُعودِ



وَالأَفْعالِ ؛ فَبَعْدَ أَنْ نالَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الشِّرِّيرَةُ مِنْ أَبيها كُلَّ شَيْءٍ ، بَدَأَتْ تُظْهِرُ تَبَرُّمَها بِهِ ، وَلا تَدَعُهُ يَحْصُلُ عَلى ما يَسْتَحِقُّ ، حَتّى هَذا القَليلِ الَّذي أَبْقاهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ تَعُدْ تُطيقُ رُؤْيَتَهُ وَفُرْسانَهُ المِئَةَ . وَكانَتْ كُلَّما رَأَتْ أَباها بَدَتْ عَلى وَجْهِها أَماراتُ الغَضَبِ ، وَكُلَّما أَرادَ المَلِكُ العَجوزُ التَّحَدُّثَ إِلَيْها ادَّعَتِ المَرَضَ كَيْلا تَراهُ . وَباتَ مِنَ الجَلِيِّ أَنَّها كانَتْ تَنْظُرُ إِلى هَرَمِهِ عَلى أَنَّهُ عِبْءٌ ثَقيلٌ لا نَفْعَ فيهِ ، وَإِلى فُرْسانِهِ عَلى أَنَّهُمْ أَوْجُهُ إِنْفاقٍ غَيْرِ ضَرورِيٍّ . وَكَفَّتْ عَنْ إِبْداءِ احْتِرامِها لِلْمَلِكِ . وَلَيْتَ الأَمْرَ اقْتَصَرَ عَلَيْها وَحْدَها ، بَلْ وَصَلَ إِلى خَدَمِها أَيْضًا ، هَؤُلاءِ الَّذينَ بَدَأُوا – بِإِيعازٍ مِنْها – يَتَجاهَلونَهُ وَيَرْفُضونَ الانْصِياعَ لِأَوامِرِهِ ، أَوْ يَدَّعونَ عَدَمَ سَماعِها . وَما كانَ لَهُمْ لِيَجْرُؤوا عَلى هَذا لَوْلا أَنَّها أَمَرَتْهُمْ بِهِ ! وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذو حَذْوَها تُجْبِرُهُ عَلى أَنْ يَفْعَلَ .

لَمْ يَقْدِرْ لير عَلى تَفْسيرِ هَذا التَّغْييرِ الَّذي طَرَأَ عَلى سُلوكِ ابْنَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَغُضُّ الطَّرْفَ عَنْهُ قَدْرَ اسْتِطاعَتِهِ ، مِثْلُهُ في هَذا مِثْلُ مُعْظَمِ النّاسِ الَّذينَ يَرْفُضونَ تَقَبُّلَ النَّتائِجِ السَّيِّئَةِ لِأَخْطائِهِمْ .

وَفي غُضونِ ذَلِكَ اخْتارَ إيرل كِنْت الطَّيِّبُ البَقاءَ بِبِريطانْيا ما دامَتْ هُناكَ فُرْصَةٌ لِأَنْ يَكونَ قَريبًا مِنْ سَيِّدِهِ ، رَغْمَ كَوْنِهِ يَعْرِفُ



مَصيرَهُ إذا افْتَضَحَ أمْرُهُ ؛ أ لا وَهُوَ القَتْلُ . وَتَخفّى في مَلابِسِ خادِمٍ لِيَعْرِضَ خِدْماتِهِ عَلى المَلِكِ ، الَّذي لَمْ يَسْتَطِعْ إماطَةَ اللِّثامِ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ ، وَلا التَّعَرُّفَ عَلَيْهِ في شَكْلِهِ الجَديدِ . وَلَكِنَّهُ بِمُضِيٍّ الوَقْتِ سُرَّ بإخْلاصِهِ وَأمانَتِهِ ، وَقَرَّرَ المَلِكُ أنْ يَتَّخِذَهُ خادِمَهُ المُقَرَّبَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ اسْمَ كايُوس .

وَسُرْعانَ ما وَجَدَ كايُوس طَريقاً يَسْلُكُهُ لِيُبْدِيَ فيهِ إخْلاصَهُ وَحُبَّهُ لِسَيِّدِهِ . وَفي ذَلِكَ اليَوْمِ نَفْسِهِ أساءَ أحَدُ خَدَمِ غُونيريل إلى لير ، وَتَحَدَّثَ إلَيْهِ بِطَريقَةٍ غَيْرِ لائِقَةٍ ؛ وَلَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ شَكٌّ في أنَّ غُونيريل



نَفْسَها ، هِيَ الَّتي أوْعَزَتْ إلَيْهِ سِرًّا بِمِثْلِ هَذا السُّلوكِ ، فَما كانَ مِنْ كايُوس إلّا أنْ صارَعَهُ حَتّى صَرَعَهُ وَطَرَحَهُ أرْضاً ؛ مِمّا مَكَّنَ لَهُ في قَلْبِ لير .

وَلَمْ يَكُنْ كايُوس الصَّديقَ الأوْحَدَ لِلْمَلِكِ لير ؛ فَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ المُلوكِ في هَذِهِ الأيّامِ ، أنْ يَتَّخِذوا في بَلاطِهِمْ مُهَرِّجاً يُسَرّي عَنْهُمْ بَعْدَ الانْتِهاءِ مِنَ العَمَلِ الجادِّ . وَظَلَّ المُهَرِّجُ المِسْكينُ ، الَّذي عاشَ حيناً في قَصْرِ لير ، مُلازِماً لَهُ بَعْدَ أنْ تَخَلّى عَنْ عَرْشِهِ . وَكانَ يُسَرّي عَنِ المَلِكِ ، وَيُسْعِدُهُ بِتَعْليقاتِهِ المَرِحَةِ ، رَغْمَ أنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ – أحْياناً – عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنْهُ لِحَماقَتِهِ في تَخَلّيهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لابْنَتَيْهِ . وَقالَ ذاتَ مَرَّةٍ ، بِحُضورِ غُونيريل ، إنَّ الحِمارَ يَعْرِفُ مَتى تَجُرُّ العَرَبَةُ الحِصانَ ( يَعْني ابْنَتَيْ لير اللَّتَيْنِ يَجِبُ أنْ تَكونا وَراءَهُ وَهُما الآنَ تَتَقَدَّمانِهِ ) ، وَإنَّ لير لَمْ يَعُدْ كَما كانَ بَلْ مُجَرَّدَ ظِلٍّ لَهُ !

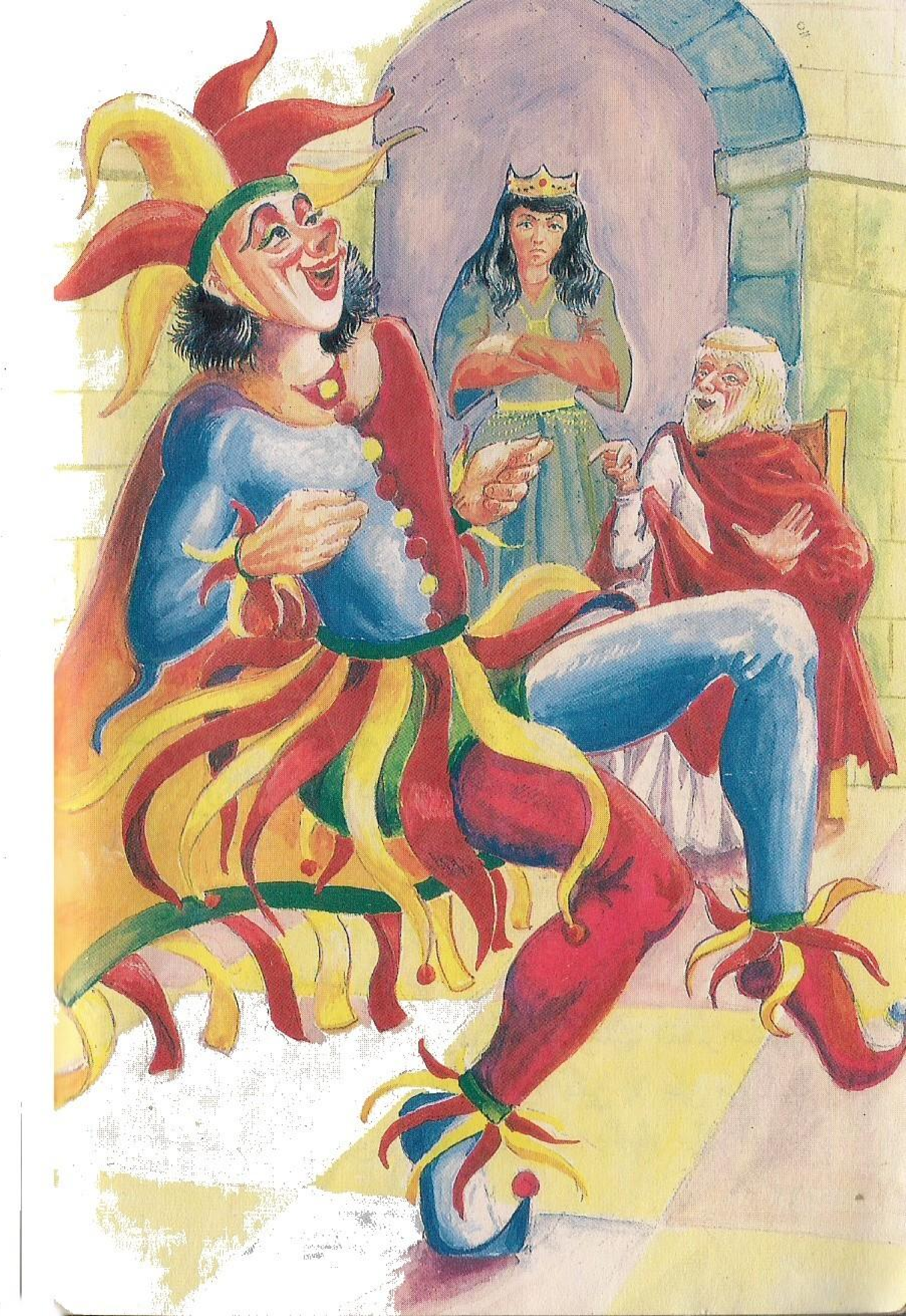
وَهُنا صارَحَتْ غُونيريل المَلِكَ ألا يَسْتَمِرَّ في الإقامَةِ بِقَصْرِها إذا ما رَغِبَ في الاحْتِفاظِ بِفُرْسانِهِ المِئَةِ ، مُتَعَلِّلَةً بِأنَّ هَذا العَدَدَ الكَبيرَ يُكَلِّفُ الكَثيرَ وَلا طائِلَ مِنْهُ ؛ سِوى أنَّهُ يَمْلأُ عَلَيْها القَصْرَ ضَجيجاً وَصَخَباً . وَطَلَبَتْ إلَيْهِ أنْ يُخَفِّضَ العَدَدَ وَلا يُبْقِيَ إلّا عَلى مَنْ كانَ مِثْلَهُ مِنْ كِبارِ السِّنِّ وَالَّذينَ يُوافِقونَ سِنَّهُ .

وَلَمْ يكُنْ لير – في بادِئِ الأمرِ – لِيُصدِّقَ ما يَسْمَعُ وَيرى ، وَلَمْ يَكُنْ لِيظُنَّ لحظَةً أنَّ ابْنَتَهُ يُمكِنُ أنْ تتحدَّثَ إليْهِ بِهذا الجَفاءِ . وَلكِنَّها عِنْدَما كَرَّرتْ طَلَبَها غَضِبَ المَلِكُ العجوزُ ، وَقالَ إِنَّها نَطَقَتْ بِغَيْرِ الحَقِّ ، وَفِعْلاً لَمْ تَكُنْ مُحِقَّةً فيما ادَّعَتْ ؛ لأنَّ الفُرْسانَ المِئَةَ سُلوكُهُمْ مُهذَّبٌ وَخُلُقُهُمْ حَميدٌ ، وَلَمْ يُجْبَلوا ، كَما ادَّعَتْ ، عَلى الصَّخَبِ أوْ إحْداثِ الضَّجيج .

وَأمَرَ لير بِتَجْهيزِ الخَيل ؛ لِيَتَوجَّهَ إلى ابْنَتِهِ الأخْرى ريغان وَبِصُحْبَتِهِ فُرْسانُهُ المِئَةُ . وَقَبْلَ مُغادَرَتِهِ القَصْرَ ذَكَرَ عُقوقَ غُونيريل وَلَعَنَها بِألْفاظٍ قاسِيَةٍ عَلى الأذُنِ ، وَدَعا عَلَيْها بِألا تُرْزَقَ طِفْلاً ، وإنْ رُزِقَتْهُ أنْ يَعيشَ حَتّى يُذيقَها مِثْلَ ما أذاقَتْهُ مِنْ حِقْدٍ وَازْدِراءٍ ؛ لِتَعْرِفَ ساعَتَها أنَّ الابْنَ العاقَّ أسْوَأُ مِنْ لَدْغَةِ الأفْعى . وَرَغْمَ أنَّ دوق ألْبانيا أخَذَ في تَقْديمِ الاعْتِذاراتِ عَمّا قَدْ يَفْتَرِضُهُ لير مِنْ مُشارَكَتِهِ ابْنَتَهُ في سوءِ المُعامَلَةِ ، إلّا أنَّ لير لَمْ يُعِرْهُ الْتِفاتاً . وَبَدَأ رِحْلَتَهُ هُوَ وَرِجالُهُ مُتَّجِهينَ إلى قَصْرِ ريغان . وَأخَذَ يُفَكِّرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، كَيْفَ يَبْدو خَطَأُ كورْديلْيا صَغيراً ( إذا كانَتْ أخْطَأتْ ) بِالمُقارَنَةِ بِخَطَأ أخْتِها ، ثُمَّ أخَذَ يَبْكي . وَشَعَرَ بِالخَجَلِ لأنْ يَكونَ لِمَخْلوقٍ مِثْلِ غُونيريل سَيْطَرَةٌ كامِلَةٌ عَلَيْهِ فَيُبْكِيَهُ .

وَكانَتْ رِيغان وَزَوْجُها يَعيشانِ في قَصْرِهِما تَحُفُّهُما مَظاهِرُ





الفَخامَةِ وَالتَّرفِ . وَأَرْسَلَ لِير خادِمَهُ كايُوس مُحَمَّلاً بِالرَّسائِلِ لابْنَتِهِ لِتُجَهِّزَ لاسْتِقْبالِهِ عِنْدَما يَصِلُ هُوَ وَفُرْسانُهُ . غَيْرَ أَنَّ غُونيرِيل كانَتْ قَدْ بَعَثَتْ هِيَ الأُخْرى بِرَسائِلِها لأُخْتِها تَقولُ لَها فيها إِنَّ أَباها أَصْبَحَ عَنيداً سَيِّئَ الطِّباعِ ، وَتُوعِزُ إِلَيْها بِأَلا تَسْتَقْبِلَهُ ، وَمَعَهُ هَذا الكَمُّ الضَّخْمُ مِنَ الفُرْسانِ .

وَتَصادَفَ أَنْ وَصَلَ رَسولُ غُونيرِيل في الوَقْتِ نَفْسِهِ لِوُصولِ كايُوس ، وَالْتَقَيا مَعاً . وَكانَ خادِمُ غُونيرِيل هُوَ الشَّخْصَ الَّذي طَرَحَهُ كايُوس أَرْضاً مِنْ قَبْلُ لِسُلوكِهِ الشَّائِنِ مَعَ لِير . وَشَكَّ كايُوس في الأَمْرِ الَّذي جاءَ لأَجْلِهِ هَذا الرَّجُلُ ، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ بِحِدَّةٍ ، ثُمَّ دَعاهُ إِلى النِّزالِ فَرَفَضَ الآخَرُ نِزالَهُ ، فَما كانَ مِنْ كايُوس إِلّا أَنَّ أَوْسَعَهُ ضَرْباً . وَعِنْدَما سَمِعَتْ رِيغان وَزَوْجُها بِهَذا أَمَرا بِأَنْ يُعَلَّقَ كايُوس مِنْ رِجْلَيْهِ ، رَغْمَ عِلْمِهِما بِأَنَّهُ رَسولٌ مِنْ قِبَلِ المَلِكِ ، وَيَجِبُ أَنْ يُعامَلَ بِاحْتِرامٍ . وَهَكَذا كانَ أَوَّلَ ما يَراهُ المَلِكُ حينَ دُخولِهِ القَصْرَ هُوَ خادِمُهُ مُعَلَّقاً بِهَذا الوَضْعِ المُشينِ .

وَكانَ هَذا نَذيرَ سوءٍ لِطَريقَةِ الاسْتِقْبالِ المُتَوَقَّعَةِ ، وَلَكِنَّ ما خَفِيَ كانَ أَعْظَمَ ! فَعِنْدَما طَلَبَ لِقاءَ ابْنَتِهِ هِيَ وَزَوْجِها ، قيلَ لَهُ إِنَّهُما مُتْعَبانِ لِلْغايَةِ مِنْ جَرّاءِ سَفَرٍ بَعيدٍ ، وَلا يَسْتَطيعانِ الخُروجَ لِلِقائِهِ ؛ فَغَضِبَ لِير لِذَلِكَ ، وَأَصَرَّ عَلى لِقائِهِما ، وَلَكِنَّهُما عِنْدَما أَتَيا ، في



النِّهايَةِ ، لاسْتِقْبالِهِ كانَتْ بِصُحْبَتِهِما غُونيرِيل البَغيضَةُ ، الَّتي جاءَتْ لِتَرْوِيَ قِصَّتَها عَلى أُخْتِها ، وَتُحَرِّضَها ضِدَّ أَبيهِما .

أَثارَ هَذا المَشْهَدُ مَشاعِرَ المَلِكِ ، وَازْدادَ غَضَبُهُ حينَ رَأى رِيغان تُمْسِكُ بِيَدِ غُونيرِيل ، وَسَأَلَ غُونيرِيل مُتَهَكِّماً عَمّا إِذا كانَتْ لا تَشْعُرُ بِالخَجَلِ عِنْدَما تَنْظُرُ إِلى لِحْيَتِهِ البَيْضاءِ ! وَهُنا نَصَحَتْهُ رِيغان بِأَنْ يَعودَ مَعَ غُونيرِيل وَيَعيشَ مَعَها في سَلامٍ ، بَعْدَ أَنْ يَتَخَلّى عَنْ نِصْفِ عَدَدِ فُرْسانِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ يَسْأَلَها العَفْوَ وَالصَّفْحَ . وَلَمْ تَتَوَرَّعْ عَنْ قَوْلِها بِأَنَّهُ أَصْبَحَ شَيْخاً خَرِفاً ، وَيَجِبُ أَنْ يوضَعَ تَحْتَ وِصايَةِ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ حِكْمَةً .

وَسَأَلَ لِير عَمّا إِذا كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَجْثُوَ أَمامَ ابْنَتِهِ مُتَوَسِّلاً إِلَيْها أَنْ تُعْطِيَهُ غِذاءً يَأْكُلُهُ أَوْ كِساءً يَلْبَسُهُ ! وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَنْ يَعودَ مَعَها ، وَسَيُقيمُ هُوَ وَفُرْسانُهُ المِئَةُ مَعَ رِيغان ؛ فَلَعَلَّها لَمْ تَنْسَ نِصْفَ المَمْلَكَةِ الَّذي مَنَحَها إِيّاهُ ، وَلَعَلَّها لا تُنْكِرُهُ كَما فَعَلَتْ أُخْتُها . وَأَضافَ أَيْضاً أَنَّهُ ، بَدَلاً مِنَ العَوْدَةِ إِلى غُونيرِيل بِنِصْفِ عَدَدِ فُرْسانِهِ ، يُفَضِّلُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى فَرَنْسا ، وَيَطْلُبَ عَوْنَ مَلِكِها الَّذي تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ الصُّغْرى ، عِنْدَما كانَتْ صِفْرَ اليَدَيْنِ .

وَمَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَقَدْ أَخْطَأَ المَلِكُ لِير حينَ ظَنَّ أَنَّهُ سَيَلْقى مِنْ

ريغان مُعامَلَةً أرَقَّ مِنْ مُعامَلَةِ أُخْتِها غُونيريل ؛ لأنَّها صَرَّحَتْ بِاعْتِقادِها في أنَّ عَدَدَ الفُرْسانِ الخَمْسينَ ضَخْمٌ جِدًّا ، وَلا يُمكِنُ أنْ يَبْقَوْا مَعَهُ ، وَيَكْفي بَقاءُ خَمْسَةٍ وَعِشْرينَ فارِسًا . وَعِنْدَئِذٍ الْتَفَتَ لير إلى غُونيريل وَقَدِ انْفَطَرَ قَلْبُهُ ، وَقالَ لَها بِأسًى إنَّهُ عائِدٌ مَعَها لأنَّ عَدَدَ الفُرْسانِ الَّذي ارْتَضَتْهُ - وَهُوَ خَمْسونَ - ضِعْفُ العَدَدِ الَّذي ارْتَضَتْهُ أُخْتُها ، وَهُوَ خَمْسَةٌ وَعِشْرونَ ؛ لِذا فَإنَّ حُبَّها إيّاهُ ضِعْفُ حُبِّ ريغان . وَلَكِنَّ غُونيريل بادَرَتْ بِاعْتِذارِها ، وَتَساءَلَتْ لِمَ كُلُّ هَذا الكَمِّ مِنَ الفُرْسانِ ، لِمَ الخَمْسَةُ وَالعِشْرونَ أوِ العَشَرَةُ أوْ حَتّى الخَمْسَةُ ، ما دامَ خَدَمُها أوْ خَدَمُ أُخْتِها يَقومونَ عَلى خِدْمَتِهِ وَرِعايَتِهِ ؟

وَهَكَذا تَبارَتِ البِنْتانِ الشِّرّيرَتانِ في مُحاوَلَةٍ لأنْ تَكونَ كُلٌّ مِنْهُما أقْسى عَلى أبيها العَجوزِ مِنَ الأُخْرى ، ذَلِكَ الأبِ الَّذي كانَ غايَةً في الجودِ عَلَيْهِما . وَتَمَكَّنَتا ، شَيْئًا فَشَيْئًا ، مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْ فُرْسانِهِ كُلِّهِمْ أجْمَعينَ ، كَما جَرَّدَتاهُ مِنْ كُلِّ احْتِرامٍ يَدُلُّ عَلى أنَّهُ كانَ - ذاتَ يَوْمٍ - مَلِكًا .

وَهَكَذا تَحَوَّلَ المَلِكُ إلى مُتَسَوِّلٍ ، وَهُوَ تَحَوُّلٌ جِدُّ قاسٍ . وَكانَ جُحودُ وَعُقوقُ ابْنَتَيْهِ هُوَ ما أصابَ قَلْبَ هَذا المَلِكِ المِسْكينِ في الصَّميمِ . وَبَدا مُشَوَّشَ العَقْلِ ذاهِلَهُ . وَرَغْمَ أنَّهُ كانَ لا يَعي ما





يَقولُ ، إلّا أنَّهُ توعَّدَ هاتَيْنِ الشرِّيرَتَيْنِ بِأنْ تنالا عِقابَهُما .

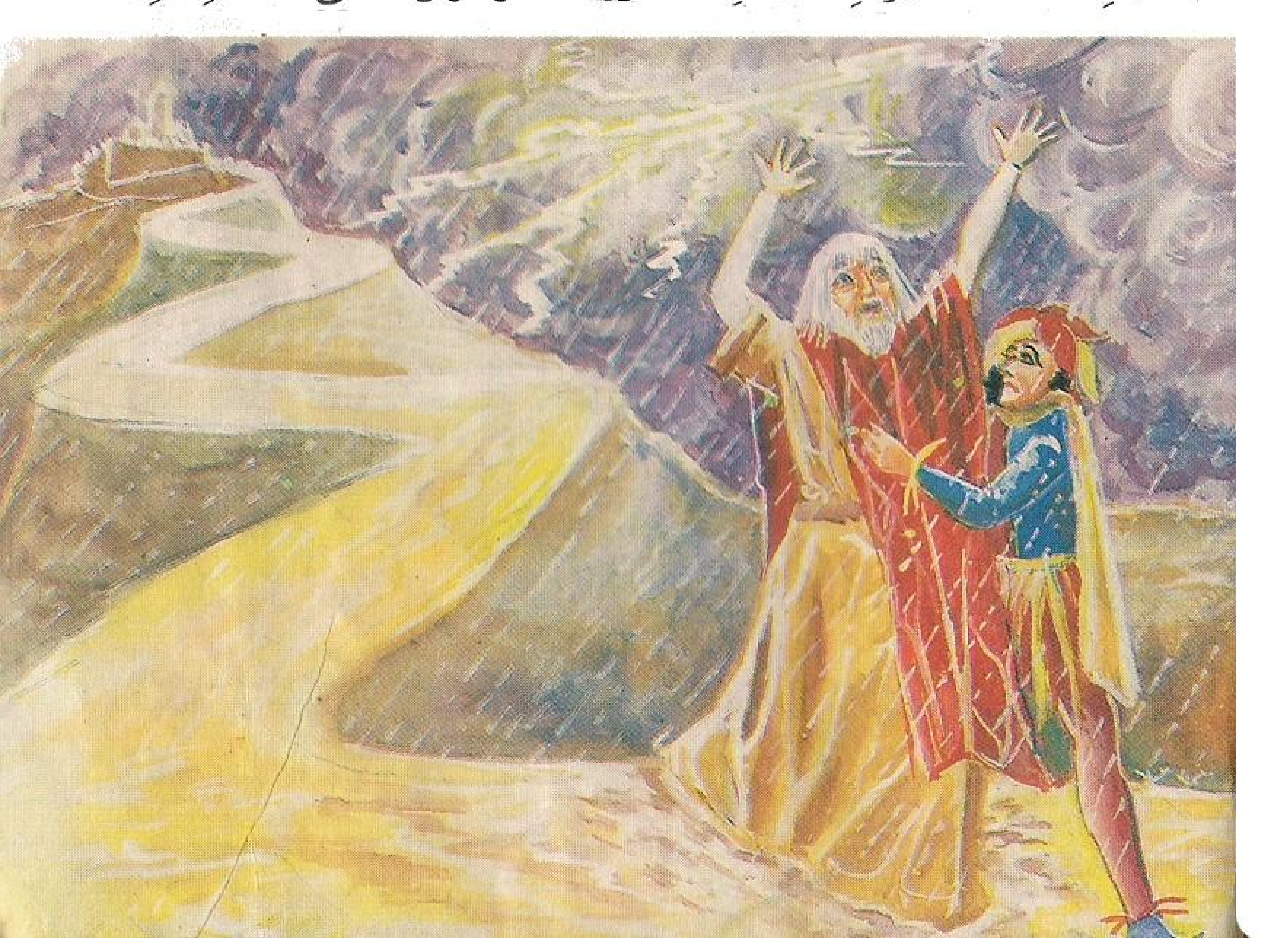
وَبَيْنَما كانَ يَتَهَدَّدُ وَيَتَوَعَّدُ بِما لَنْ تَسْتَطيعَ يَداهُ الضَّعيفتانِ أنْ تَفْعَلاهُ ، كانَ اللَّيْلُ قَدْ أَرْخى سُدولَهُ ، وَهَبَّتْ عاصِفَةٌ رَعْدِيَّةٌ مُخيفَةٌ يُصاحِبُها البَرْقُ الصّاعِقُ ، ثُمَّ انْهَمَرَ المَطَرُ مِدْراراً . وَكانَتِ البِنْتانِ لا تَزالانِ تُصِرّانِ عَلى رَفْضِهِما السَّماحَ لِلْفُرْسانِ بِالدُّخولِ ؛ فَأَمَرَ لِير بِتَجْهيزِ الخَيْلِ مُعَقِّباً بِقَوْلِهِ إنَّهُ يُفَضِّلُ مُواجَهَةَ سَوْرَةِ العاصِفَةِ في أَشَدِّ صُوَرِها في العَراءِ عَلى أنْ يَبْقى تَحْتَ السَّقْفِ الَّذي يَجْمَعُهُ هُوَ وَهاتَيْنِ البِنْتَيْنِ الجاحِدَتَيْنِ . فَما كانَ مِنْهُما إلّا أنْ تَرَكاهُ يَذْهَبُ ، وَأَغْلَقَتا وَراءَهُ البابَ مُرَدِّدَتَيْنِ : « إنَّ الحَمْقى يَجْلِبونَ بِأَيْديهِمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ جَزاءَهُمُ الَّذي يَسْتَحِقّونَهُ ! »

وَكانَتِ الرِّيحُ قَدِ ازْدادَتْ عُنْفاً ، وَتَزايَدَ المَطَرُ في هَطَلانِهِ ، وَاشْتَدَّتِ العاصِفَةُ في حِدَّتِها في أَثْناءِ خُروجِ المَلِكِ العَجوزِ مُتَحَدِّياً كُلَّ هَذا . وَبَعْدَ مَسيرَةِ عِدَّةِ كيلومِتْراتٍ احْتَمى المَلِكُ وَسْطَ بِضْعَةِ شُجَيْراتٍ . وَهُناكَ عَلى امْتِدادِ تِلْكَ الأَرْضِ الجَرْداءِ ، راحَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ صائِحاً بِغَضَبٍ في الرّيحِ وَالعاصِفَةِ ؛ آمِراً الرِّيحَ أنْ تُلْقِيَ الأَرْضَ في البَحْرِ ، أوْ أنْ تَجْعَلَ الأَمْواجَ ضَخْمَةً شاهِقَةً كَالجِبالِ حَتّى تُغْرِقَ الأَرْضَ وَتَبْتَلِعَها ، فَلا يَبْقى أَثَرٌ لِمِثْلِ هَذا الحَيَوانِ الجاحِدِ المُسَمّى إنْساناً . وَذَهَبَ عَنِ المَلِكِ العَجوزِ جَميعُ رُفْقَتِهِ إلّا المُهَرِّجَ



المِسْكينَ الَّذي بَقِيَ مَعَهُ . وَكانَ يُحاوِلُ بِكَلِماتِهِ المَرِحَةِ التَّغَلُّبَ عَلى المِحْنَةِ الَّتي كانا يُقاسِيانِها ، فَقالَ مُداعِباً إنَّ اللَّيْلَةَ سَيِّئَةٌ وَتَصْعُبُ السِّباحَةُ فيها ، وَإنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ لِلْمَلِكِ أنْ يَذْهَبَ لابْنَتِهِ طالِباً رِضاها .

وَبَيْنَما المَلِكُ سائِرٌ في الطَّريقِ ، عَلى حالَتِهِ هَذِهِ ، إذْ قابَلَهُ خادِمُهُ المُخْلِصُ لَهُ عَلى الدَّوامِ ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ إيرل كِنْت ، الَّذي تَغَيَّرَ اسْمُهُ إلى كايُوس ، فَبادَرَهُ قائِلاً : « سَيِّدي الجَليلَ ! هَلْ أَنْتَ هُنا ؟ إنَّ المَخْلوقاتِ الَّتي تَعْشَقُ اللَّيْلَ لا تُحِبُّ مِثْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ . لَقَدْ أَجْبَرَتِ العاصِفَةُ المُرَوِّعَةُ الوُحوشَ عَلى الاحْتِماءِ



بِأوْكارِها ، وَلا تَسْتَطيعُ طَبيعَةُ الإنْسانِ تَحَمُّلَها !» أجابَهُ لير بِأنَّ هَذِهِ الشُّرورَ الصَّغيرَةَ تَهونُ عَلى المَرْءِ في وُجودِ ألَمٍ أكْبَرَ . فَعِنْدَما يَكونُ البالُ خالِياً يَجِدُ الجِسْمُ مُتَّسَعاً مِنَ الوَقْتِ لِيَشْعُرَ بِالألَمِ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَما يُكَدَّرُ تَذْهَبُ عَنْهُ كُلُّ الآلامِ عَدا ما يَمْتَدُّ أثَرُهُ إلى النَّفْسِ . ثُمَّ تَحَدَّثَ مَرَّةً ثانِيَةً عَنْ عُقوقِ ابْنَتَيْهِ ، فَقالَ إنَّهُما بِمَثابَةِ الفَمِ الَّذي يَعَضُّ اليَدَ الَّتي امْتَدَّتْ إلَيْهِ حامِلَةً طَعاماً ( لأنَّ الوالِدَيْنِ هُما اللَّذانِ يُمَثِّلانِ اليَدَ وَالطَّعامَ لأطْفالِهِما ) .

وَكانَ كايُوس لا يَزالُ يَتَوَسَّلُ إلى المَلِكِ ألا يَبْقى في العَراءِ ، وَأخيراً نَجَحَ في إقْناعِهِ بِأنْ يَحْتَمِيَ بِكوخٍ صَغيرٍ مُتَواضِعٍ .

وَدَخَلَ المُهَرِّجُ أوَّلاً ، وَلَكِنَّهُ انْدَفَعَ خارِجاً في رُعْبٍ قائِلاً إنَّهُ رَأى شَبَحاً . وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ إلّا مُتَسَوِّلٌ مِسْكينٌ ظَلَّ يَزْحَفُ حَتّى وَصَلَ إلى هَذا الكوخِ ، وَاتَّخَذَهُ مَأوًى لَهُ ، وَقَدْ أفْزَعَ المُهَرِّجَ بِتَعاويذَ قالَها . وَعِنْدَما رَآهُ المَلِكُ لا يَمْلِكُ غَيْرَ قِطْعَةٍ مِنَ المَلابِسِ تَكادُ تُغَطّي نِصْفَ جِسْمِهِ ، عَقَّبَ قائِلاً بِأنَّهُ رَجُلٌ أعْطى كُلَّ شَيْءٍ لِبَناتِهِ !

وَلَمْ يَكُنْ يَعْتَقِدُ في أنَّ ثَمَّةَ شَيْئاً يُمْكِنُ أنْ يَصِلَ بِإنْسانٍ إلى مِثْلِ هَذِهِ المَأساةِ غَيْرَ بَناتٍ جاحِداتٍ .

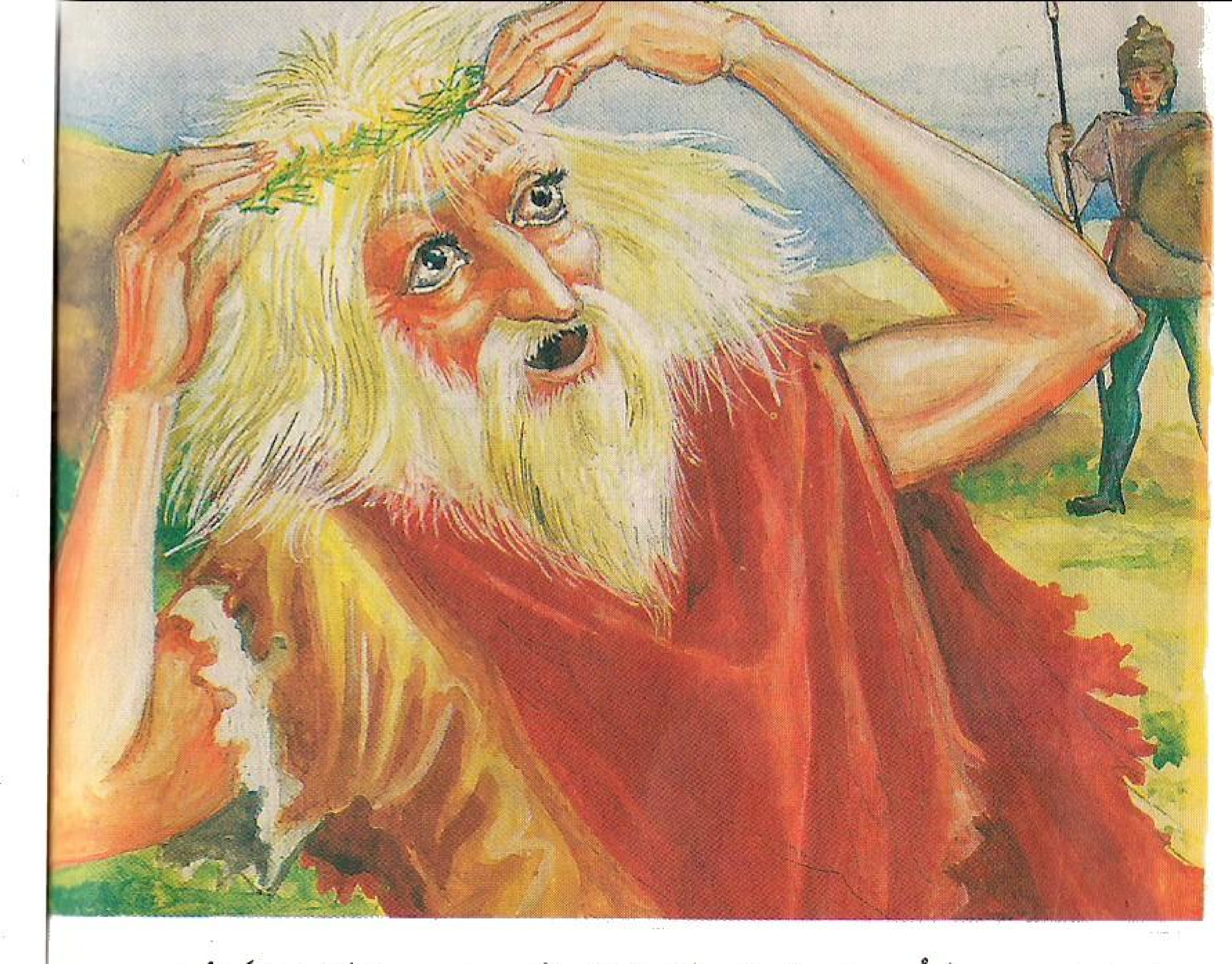


وَبِسَبَبِ هَذا وَكَثيرٍ غَيْرِهِ مِمّا قالَ المَلِكُ ، باتَ جَلِيًّا أمامَ كايُوس الطَّيِّبِ أنَّ المَلِكَ لَيْسَ في حالَتِهِ المَعْهودَةِ ، وَأنَّ المُعامَلَةَ السَّيِّئَةَ الَّتي تَعَرَّضَ لَها مِنِ ابْنَتَيْهِ هِيَ الَّتي أدَّتْ بِهِ إلى هَذَيانِهِ هَذا .

وَتَجَلّى إخْلاصُ إيرْل كِنْت بِشَكْلٍ لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهُ مِنْ قَبْلُ ؛ إذِ اسْتَعانَ بِبَعْضِ فُرْسانِ المَلِكِ مِمَّنْ ظَلّوا عَلى وَلائِهِمْ لَهُ ؛ لِيَصْطَحِبوا المَلِكَ إلى قَلْعَةِ دوفِر ، حَيْثُ مُعْظَمُ أصْدِقائِهِ . وَأبْحَرَ إيرْل كِنْت بِنَفْسِهِ مُتَّجِهاً إلى فَرَنْسا ، وَأغَذَّ السَّيْرَ إلى قَصْرِ كُورْدِيلْيا ، وَأخْبَرَها بِحالَةِ أبيها السَّيِّئَةِ الَّتي أوْصَلَتْهُ إلَيْها قَسْوَةُ أخْتَيْها ؛ فَما كانَ مِنْ هَذِهِ الابْنَةِ الطَّيِّبَةِ الوَدودِ ، إلّا أنِ اسْتَأذَنَتْ زَوْجَها في الخُروجِ إلى إنجلترا في جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ ؛ لِلإطاحَةِ بِهاتَيْنِ البِنْتَيْنِ العاقَّتَيْنِ وَزَوْجَيْهِما . وَما إنْ وافَقَ زَوْجُها عَلى هَذا الطَّلَبِ حَتّى بَدَأتْ مَسيرَتَها عَلى رَأسِ جَيْشٍ مَلَكِيٍّ ، وَ وَصَلَتْ إلى ميناءِ دوفِر .

وَغافَلَ لير الفُرْسانَ الَّذينَ تَرَكَهُمْ إيرْل كِنْت لِرِعايَتِهِ وَاخْتَفى ؛ ثُمَّ عَثَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ أفْرادِ جَيْشِ كُورْدِيلْيا يَتَجَوَّلُ في الحُقولِ بِالقُرْبِ مِنْ دوفِر ، في حالَةٍ يُرْثى لَها ؛ فَقَدْ كانَ مَخْبولاً تَماماً ، وَكانَ يُغَنّي لِنَفْسِهِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَعَلى رَأسِهِ إكْليلٌ صَنَعَهُ مِنَ القَشِّ وَنَباتاتٍ بَرِّيَّةٍ أخْرى جَلَبَها مِنْ حُقولِ القَمْحِ .

وَكانَتْ كُورْدِيلْيا في شِدَّةِ الشَّوْقِ لِرُؤْيَةِ أبيها ، غَيْرَ أنَّ الأطِبّاءَ



نَصَحوها بِالتَّرَيُّثِ قَليلاً حَتّى تُؤْتِيَ الرّاحَةُ ثِمارَها ، وَيَنْجَحَ الدَّواءُ في الوُصولِ بِهِ إلى الغايَةِ مِنْهُ . وَسُرْعانَ ما أَصْبَحَ لير في حالَةٍ تُمَكِّنُهُ مِنْ رُؤْيَةِ ابْنَتِهِ ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ هَؤُلاءِ الرِّجالِ الأكْفاءِ الَّذينَ وَعَدَتْهُمْ كُورْدِيلْيا بِكُلِّ ما تَمْلِكُ مِنْ ذَهَبٍ وَجَواهِرَ إذا ما ساعَدوا في شِفاءِ أبيها .

وَكانَ مَشْهَدُ لِقاءِ الأبِ بِابْنَتِهِ مُؤَثِّراً ؛ إذْ تَنازَعَ قَلْبَ لير الفَرَحُ بِرُؤْيَةِ ابْنَتِهِ مَرَّةً أُخْرى ، وَالخَجَلُ لِتَلَقّيهِ كُلَّ هَذا العَطْفِ مِنْها هِيَ الَّتي طَرَدَها ساعَةَ غَضَبِهِ وَزَهْوِهِ الغَبِيِّ . وَلَمْ يُمَكِّنْهُ عَقْلُهُ نِصْفُ



الواعي أحياناً مِنْ تَذَكُّرِ أيْنَ كانَ وَلا مَنْ ذَلِكَ الَّذي قَبَّلَهُ بِحَنانٍ ، وَتَحَدَّثَ إلَيْهِ بِعَطْفٍ . ثُمَّ أخَذَ يَرْجو مَنْ حَوْلَهُ أن يَعْذُروهُ إذا كانَ قَدْ أخْطَأهُ الحَدْسُ حيناً ، فيما إذا كانَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ هِيَ ابْنَتَهُ كُورْدِيلْيا . ثُمَّ جَثا عَلى رُكْبَتَيْهِ يَسْألُها الصَّفْحَ ، وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ الطَّيِّبَةَ العَطوفَ ، الَّتي كانَتْ راكِعَةً إلى جِوارِهِ طَوالَ الوَقْتِ تَسْألُهُ رِضاهُ ، أخْبَرَتْهُ بِأنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ قُوَّةٌ تُجْبِرُهُ عَلى أنْ يَفْعَلَ مِثْلَ هَذا ؛ فَقَدْ كانَ كُلُّ هَذا واجِبَ الابْنَةِ نَحْوَ أبيها . وَأخَذَتْ تُقَبِّلُهُ لِتُزيلَ عَنْهُ ( عَلى حَدِّ قَوْلِها ) سوءَ مُعامَلَةِ أُخْتَيْها . وَأضافَتْ بِأنَّهُ يَجِبُ أنْ يَلْحَقَهُما الخِزْيُ ، لأنَّهُما طَرَدَتا أباهُما الهَرِمَ ذا اللِّحْيَةِ البَيْضاءِ، وَفي مِثْلِ هَذا الطَّقْسِ البارِدِ . ثُمَّ أرْدَفَتْ لَوْ أنَّ كَلْبَ عَدُوٍّ لَها عَقَرَها لَما أخْرَجَتْهُ في مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَلأجْلَسَتْهُ بِجانِبِ مِدْفَأتِها يَلْتَمِسُ الدِّفْءَ لِنَفْسِهِ .

أخْبَرَتْ كُورْدِيلْيا أباها بِأنَّها إنَّما جاءَتْ خُصوصاً مِنْ فَرَنْسا لِمُساعَدَتِهِ ؛ فَقالَ لَها إنَّها يَجِبُ أنْ تَنْسى وَتَصْفَحَ لأنَّهُ رَجُلٌ مُسِنٌّ وَأحْمَقُ ، وَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ ما يَفْعَلُ ، وَأنَّ لَها كُلَّ العُذْرِ ، بِسَبَبِ ذَلِكَ ، في ألا تُحِبَّهُ ، لَوْ فَعَلَتْ ، في حينِ أنَّ أُخْتَيْها دونَ أيِّ ذَنْبٍ جَناهُ لَمْ يُكِنّا لَهُ أيَّ حُبٍّ ، وَإنَّما فَعَلَتا ما بَدا لَهُما . وَلَكِنَّ كُورْدِيلْيا رَدَّتْ عَلى هَذا قائِلَةً بِأنْ لَيْسَ لَها وَلا لأُخْتَيْها أيُّ عُذْرٍ .

وَيُمْكِنُنا أنْ نَدَعَ المَلِكَ العَجوزَ في رِعايَةِ ابْنَتِهِ الوَدودِ ، الَّتي نَجَحَتْ هِيَ وَأطِبّاؤُها بِمُساعَدَةِ النَّوْمِ وَالدَّواءِ ، في جَلْبِ بَعْضِ الطُّمأنينَةِ إلى هَذا العَقْلِ المُضْطَرِبِ ، مِنْ جَرّاءِ قَسْوَةِ ابْنَتَيْهِ الأُخْرَيَيْنِ . فَلْنَعُدِ الآنَ لِنَتَحَدَّثَ عَنْهُما قَليلاً .

لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعاً مِنْ هاتَيْنِ المَخْلوقَتَيْنِ ، بَعْدَ عُقوقِهِما أباهُما ، أنْ تَكونا أكْثَرَ إخْلاصاً مَعَ زَوْجَيْهِما . فَسُرْعانَ ما أتْعَبَهُما ادِّعاؤُهُما الحُبَّ وَأداءَ الواجِبِ لَهُما . وَعِنْدَما حاوَلَتا أنْ تُحِبّا شَخْصاً آخَرَ وَقَعَتْ كِلْتاهُما في حُبِّ شَخْصٍ واحِدٍ بِذاتِهِ ، وَهُوَ إدْموند الابْنُ غَيْرُ الشَّرْعِيِّ لإيرْل غلوسْتَر ، الَّذي نَجَحَ ، بِحِيَلِهِ الخَبيثَةِ ، في أنْ يُقْصِيَ أخاهُ إدْغار ، الوَريثَ الشَّرْعِيَّ ، عَنْ مَكانِهِ ، وَيَحِلَّ هُوَ مَحَلَّهُ .

في تِلْكَ الأثْناءِ تُوُفِّيَ دوق كورنوول ، زَوْجُ رِيغان ، فَأعْلَنَتْ رِيغان في الحالِ عَنْ عَزْمِها عَلى الزَّواجِ بِإدْموند ؛ مِمّا أثارَ حَفيظَةَ أخْتِها غُونيريل الَّتي كانَ إدْموند الشِّرِّيرُ – في أوْقاتٍ مُخْتَلِفَةٍ – قَدْ بَثَّها حُبَّهُ ؛ فَقَتَلَتْ غُونيريل أخْتَها ، بَعْدَ أنْ دَسَّتْ لَها السُّمَّ . غَيْرَ أنَّ زَوْجَها ، دوق ألبانيا ، اكْتَشَفَ فَعْلَتَها وَزَجَّ بِها في السِّجْنِ حَيْثُ وَضَعَتْ نِهايَةً سَريعَةً لِحَياتِها . وَهَكَذا اقْتَصَّتْ عَدالَةُ السَّماءِ مِنْ هاتَيْنِ الابْنَتَيْنِ القاسِيَتَيْنِ .



وَكانَتْ ثَمَّةَ نِهايَةٌ مُحْزِنَةٌ في انْتِظارِ كُورْديلْيا ، الَّتي كانَتْ جَديرَةً بِحَظٍّ أسْعَدَ لأفْعالِها الحَميدَةِ ؛ إذِ انْتَصَرَتْ عَلَيْها الجُيوشُ الَّتي أرْسَلَتْها غُونيريل وَرِيغان تَحْتَ قِيادَةِ الدّاهِيَةِ إدْموند . وَسيقَتْ إلى السِّجْنِ ، وَقُتِلَتْ فيهِ . وَلَمْ يَعِشْ لير طَويلاً بَعْدَ وَفاةِ ابْنَتِهِ العَطوفِ .

وَقَبْلَ وَفاةِ المَلِكِ حاوَلَ إيرْل كِنْت أنْ يُخْبِرَهُ بِأنَّهُ هُوَ الَّذي كانَ يَخْدُمُهُ وَيَتْبَعُهُ بِاسْمِ كايوس ، وَهُوَ الاسْمُ الَّذي أطْلَقَهُ هُوَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ عَقْلُ لير المُضْطَرِبُ إدْراكَ شَيْءٍ ، أوْ كَيْفَ كانَ إيرل كِنْت وَكايوس شَخْصاً واحِداً ؛ لِذا رَأى إيرل كِنْت عَدَمَ جَدْوى مُحاوَلَةِ التَّفْسيرِ . وَقَضى هَذا الخادِمُ المُخْلِصُ لِلْمَلِكِ نَحْبَهُ بَعْدَ أنْ أصابَتْهُ أمْراضُ الشَّيْخوخَةِ ، بِالإضافَةِ إلى أنَّ قَلْبَهُ كانَ مُفْعَماً بِالحُزْنِ . وَجاءَتْ وَفاتُهُ بَعْدَ وَفاةِ سَيِّدِهِ بِفَتْرَةٍ وَجيزَةٍ جِدًّا .

وَلَسْنا هُنا في حاجَةٍ إلى الحَديثِ عَنْ مَقْتَلِ إيرْل غلوسْتَر بَعْدَ مُبارَزَتِهِ أخاهُ ، أوْ كَيْفَ اعْتَلى زَوْجُ غُونيريل ، دوق ألْبانيا ، الَّذي لَمْ يُشَجِّعْها قَطُّ عَلى سوءِ مُعامَلَتِها لأبيها ، عَرْشَ إنجلترا بَعْدَ وَفاةِ لير .